

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد أفضل الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فقد كتب الشيخ تقي الدين ابن تيمية رسالة موسومة بالفتوى الحموية؛ نشر فيها ما كان يعتقد، وصرح فيها بحلول الله في جهة من مخلوقاته وهي جهة محاذية للعرش من فوق.

وقد رد على رسالته هذه الإمام شهاب الدين بن جهيل رحمه الله تعالى برد علمي قوي لا يسع المنصف إلا أن يتأمله ويستفيد منه. وقد تبين لي من رد الإمام ابن جهيل أنه يدعو إلى الثبات على عقيدة الصحابة ومن تبعهم بإحسان، ويدعو إلى السكوت عن الخوض في المتشابهات كمسائل القدر فضلاً عن دقائق مسائل الصفات. وقد وفق إلى الوقوف مع كل ما كتبه الإمام ابن تيمية من نقول وأراء وفند فيها اعتراضاته تفنيداً بليغاً لا يقوم بمثله إلا فحول العلماء. وقد يسر الله لي أن أكتب إيضاحات لبعض كلام الإمام رحمه الله تعالى وذلك لتعم الفائدة جميع طلبة العلم.

وأسأل الله أن ينفع بذلك، وأن يجعله مما يقربني إلى الله تعالى، وأن ينفع بها قراءها نفعاً يسرهم يوم تبلى السرائر. ولا بد أن أقدم للرسالة بمقدمتين للفائدة والاطلاع.

المقدمة الأولى: في اعتقاد ابن تيمية للجهة:

1. يعتقد الشيخ تقي الدين بن تيمية أن الله سبحانه وتعالى شيء له أبعاد محددة، حيث أن الله تعالى في تصور ابن تيمية ميمنة، وميسرة، وأعلى وأسفل، وأمام وخلف. وأن له حد من الأسفل يعلمه ابن تيمية ويعتبر أن العرش هو ذلك الحد الذي يحده الله سبحانه وتعالى من أسفل، وكذلك الله سبحانه وتعالى محدود من بقية' ولكن الحدود التي تحده من هذه الجهات لا يعلمها ابن تيمية ولا أحد من الخلق وإنما يعلمها الله تعالى وحده لا شريك له. هكذا يفهم الشيخ ابن

تيمية ومن نهج منهجه في عقيدة الجهة. بل قد نسب ابن تيمية اعتقاد وجود حدود تحد الله تعالى إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى مع أن الإمام أحمد لم يطلق الحد على الله تعالى إلا بمعنى التعريف المميز أي أن الله شيء غير الأشياء كلها.

كما قال الناظم: إن مبادئ كل علم عشرة / الحد والموضوع ثم الثمرة.

ولا شك في أن الله تعالى له معنى يخصه يتميز به عن سائر الأشياء. وهذا هو الحد الذي ينقل عن الإمام أحمد. أما الحد الذي صرح به ابن تيمية فالإمام أحمد بريء منه. وقد جاء عن الإمام أحمد ما نصه (قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا﴾ وإن الله يرى في القيامة وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها ونصدق بها لا كيف ولا معنى، ولا نرد شيئاً منها، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق، ولا نرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، بلا حد ولا غاية لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين؛ نؤمن بالقرآن كله، مجمله ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت، ولا نتعدى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف ذلك إلا بتصديق الرسول، وتثبيت القرآن). انتهى وهذا الأثر عن الإمام أحمد مشهور وقد رواه أبو يعلفي إبطال التأويلات بسند ثابت، وكذلك نقله الحنابلة عنه ومنهم ابن قدامة في لمعة الاعتقاد.

وقال الإمام أحمد في رواية ابن أخيه حنبل وفي رواية إسحاق رحمهما الله تعالى ما نصه: قال: نحن نؤمن بأن الله تعالى على العرش كيف شاء وكما شاء **بلا حد ولا صفة يبلغها واصفاً ويحده أحد.** وأكد هذا المعنى الإمام الخطابي في الرسالة الناصحة.

وقال سيدنا علي رضي الله عنه: من زعم أن إلهنا محدود فقد جهل الخالق المعبود. رواه أبو نعيم في حلية الأولياء من طريق عبد الوارث بن سعيد عن محمد بن إسحاق عن النعمان بن سعد قال: كنت بالكوفة في دار الإمارة دار علي بن أبي طالب فذكر قصة فيها الكلام المذكور

ضمن كلام طويل، ثم قال أبو نعيم: هذا حديث غريب من حديث النعمان كذا رواه ابن إسحاق عنه مرسلًا. اهـ.

وقال الإمام الطحاوي في متن الطحاوية: وتعالى . الله . عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات. انتهى

قال الإمام أبو داود الطيالسي: (أدركت سفيان وشعبة وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والليث وشريك لا يحدون ولا يمثلون ولا يشبهون فإذا سئلوا نطقوا بالأثر) وقد نقل ذلك عنه في شرح الطحاوية المنسوب إلى ابن أبي العز الحنفي.¹ ونقله أيضاً الإمام البهقي رحمه الله تعالى. وقال الإمام أبو القاسم القشيري في الرسالة القشيرية: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي: سمعت منصور بن عبد الله: سمعت أبا الحسن العنبري: سمعت سهل بن عبد الله التستري، يقول وقد سئل عن ذات الله فقال: ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالإحاطة ولا مرئية بالأبصار في دار الدنيا، وهي موجودة بحقائق الإيمان من غير حد ولا إحاطة ولا حلول، وتراه العيون في العقبى ظاهراً في ملكه وقدرته، قد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته، ودلهم عليه بآياته، فالقلوب تعرفه، والعيون لا تدركه، ينظر إليه المؤمنون بالأبصار من غير إحاطة ولا إدراك نهاية. [انتهى]

قال الإمام أبو حنيفة في كتابه "الوصية" (ص 4)، التي نقلها ملا علي القاري، في الموضع في شرح الفقه الأكبر (ص 138)، حيث يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله "ولقاء الله تعالى لأهل الجنة بلا كيف ولا تشبيه ولا جهة حق"⁽²⁾.

¹ إنما قلت المنسوب إليه لأن الكتاب المطبوع اليوم لم يثبت إلى الآن أنه لابن أبي العز الحنفي. وللتأكد من ذلك راجع تحقيق الشيخ أحمد شاکر لذلك. فمن نسبه لابن أبي العز فهو مجرد تخرص لا يقوم عليه أدنى دليل مقبول في نسبة المؤلفات إلى أصحابها. بل هو محض جرأة.

⁽²⁾ وهنا صرح الإمام رحمه الله بنفي الجهة عن الله تعالى.

وكذلك جاء في كتاب: "الفقه الأبسط" للإمام أبي حنيفة رضي الله عنه " يقول السائل: قلت: أرايت لو قيل: أين الله تعالى؟ يقال له . والقول لأبي حنيفة -: كان الله تعالى ولا مكان قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين، ولا خلق، ولا شيء، وهو خالق كل شيء". وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه: في: "الفقه الأكبر" له، في: "شرحه" للملا علي القاري (ص 136)، يقول الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "والله تعالى يُرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم، بلا تشبيه ولا كمية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة"⁽³⁾.

وهذا الإمام الشافعي رضي الله عنه: قال رحمه الله كما في: "إتحاف السادة المتقين" (24/2): "إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية، كما كان قبل خلقه المكان، فلا يجوز عليه التغيير في ذاته، ولا التبديل في صفاته". انتهى.

ورغم أن اعتقاد أهل السنة قاطبة أن الله لا يحد إلا أنالشيخ ابن تيمية يخالف هذا الاعتقاد فيقول كلاماً بخلاف ما كان عليه علماء أهل السنة ومنهم الإمام أحمد بن حنبل ثم حمل كلام الإمام أحمد في مسألة الحد على أسوأ المعاني فيقول ابن تيمية: ولو كان مراد أحمد رحمه الله الحد من جهة العرش فقط لكان ذلك معلوماً لعباده فإنهم قد عرفوا أن حده من هذه الجهة هو العرش، فعلم أن الحد الذي لا يعلمونه مطلق لا يختص بجهة العرش. انتهى!! من كتابه نقض أساس التقديس (437/1) أي أن الله محدود بالعرش ومحدود بمحدود أخرى. وسأنقل الكلام كاملاً بسياقه وسباقه: قال ابن تيمية حاكياً عن القاضي أبي يعلى أن الله محدود من جهة ثم قرر هو أن الله محدود من جميع الجهات فقال مانصه [ثم قال (أي القاضي) ويجب أن يحمل اختلاف كلام أحمد في إثبات الحد على اختلاف حالتين فالموضع الذي قال إنه على العرش بحد معناه أن ما حاذى العرش من ذاته هو حد له وجهة له، والموضع الذي قال هو على العرش بغير حد معناه ما عدى الجهة المحاذية للعرش وهي الفوق والخلف والأمام واليمين واليسرة، وكان

⁽³⁾ يعني أنه سبحانه وتعالى ليس في جهة ولا في مكان؛ إذ لو كان ذلك كذلك لكان بينه وبين المؤمنين مسافة.

الفرق بين جهةالتحت المحاذية للعرش وبين غيرها مما ذكرنا أن جهةالتحت تحاذي العرش بما قد ثبت من الدليل، والعرش محدود فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حد وجهة، وليس كذلك فيماعداه لأنه لا يحاذي ما هو محدود بل هو مار في اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية فلذلك لم يوصف واحد من ذلك بالحد والجهة. وجهة العرش تحاذي ماقابله من جهة الذات ولم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها. قلت (أي ابن تيمية): هذا الذي جمع به بين كلامي أحمد وأثبت الحد والجهة من ناحية العرش والتحت دون الجهات الخمس يخالف ما فسر به كلام أحمد أولاً من التفسير المطابق لصريح ألفاظه حيث قال؛ فقد نفى الحد عنه على الصفة المذكورة وهو الذي يعلمه خلقه والموضع الذي أطلقه محمول على معنيين: أحدهما: يقال على جهة مخصوصة وليس هو ذاهباً في الجهات بل هو خارج العالم متميز عن خلقه، منفصل عنهم غير داخل في كل الجهات وهذا معنى قول أحمد حد لا يعلمه إلا هو.

والثاني: أنه على صفة يبين بها عن غيره ويتميز فهو تعالى فرد واحد ممتنع عن الاشتراك له في أخص صفاته. قال منعنا من إطلاق القول بالحد في غير موضع من كتابنا ويجب أن يجوز على الوجه الذي ذكرناه فهذا القول الوسط من أقوال القاضي الثلاثة هو المطابق لكلام أحمد وغيره من الأئمة وقد قال إنه تعالى في جهة مخصوصة وليس هو ذاهباً في الجهات بل هو خارج العالم متميز عن خلقه منفصل عنهم غير داخل في كل الجهات وهذا معنى قول أحمد حد لا يعلمه إلا هو ولو كان مراد أحمد رحمه الله الحد من جهة العرش فقط؛ لكان ذلك معلوماً لعباده فإنهم قد عرفوا أن حده من هذه الجهة هو العرش، فعلم أن الحد الذي لا يعلمونه مطلق لا يختص بجهة العرش.) انتهى!! من كتابه نقض أساس التقديس (437/1) فالقاضي أبو يعلى كما ينسب إليه ابن تيمية يرى أن الله محدود من جهة واحدة وهي التحت حيث أن العرش يحده الله من هذه الجهة. وأما بقية الجهات وهي خمسة جهات وهي الفوق والخلف والأمام واليمنة واليسرة فهذه غير محدودة.!

فالقاضي كما يحكي الشيخ ابن تيمية أصدر حكماً يثبت فيه الحد من جهة التحت وحكماً آخر ينفي فيه بقية الحدود من اليمين واليسار والفوق والأمام والخلف ! وابن تيمية يؤيد القاضي على وجود الحد من جهة التحت وهذا حدم معلوم لكل أحد كما يقول ابن تيمية! . لكنه يخالف القاضي في الجهات الأخرى لأن الله حد مطلق معلوم لله وليس للبشر!! فأثبت أن الله تعالى محدود من الجهات الأخرى أيضاً، وإن كان لا يعلمه إلا الله. **فصار الله تعالى عند ابن تيمية محدوداً من جميع الجهات سبحانه عن ذلك.** وهذا نقص عظيم ومناقض للنصوص المبيّنة لكون الله تعالى ليس له شبيه، ولا سمي يساميه في ذاته وصفاته، ولا كفاً له سبحانه جل شأنه. ولا ند له. ومن قرر أن الله محدود بشيء فقد أقر أن الله سبحانه له أبعاد متناهية سواء كان متناهيّاً من جهة واحدة فقط كما ينسب ابن تيمية للقاضي أو من الجهات الست كلها كما قرر ابن تيمية.

مع أن عقيدة أهل السنة أنه ليس بجسم أصلاً حتى يكون له أبعاد؛ سواء كانت متناهية أم غير متناهية كما يتخيلون، بل لا يقاس بشيء من الموجودات وليس له كيفيات جل شأنه. وما زاد عن ذلك فهو دخول فيما لا يمكن الخوض فيه. فأما بوجوده وأنه على ما يليق به ونجزم بأنه ليس له شبيه في ذاته وصفاته فليس بجسم ولا نحوه، ثم نسكت عن الخوض في ذلك، لأنه لا شبيه له فنقيسه عليه جل جلاله.

والمشكلة أنه يرمي الإمام أحمد بعقيدة الحد، رغم أن الإمام أحمد بريء من ذلك رحمه الله تعالى كما وضحه الإمام أبو الفضل التميمي في اعتقاد الإمام أحمد، والإمام ابن قدامة في لمعة الاعتقاد والإمام ابن حمدان الحنبلي في نهاية المبتدئين وغيرهم من الحنابلة، **ولم يرد لفظ الحد لله تعالى في آية ولا في حديث صحيح** ولم يكن الإمام أحمد ممن يجزأ على وصف الله تعالى بما لا يليق به. بل لا يتعدى النصوص قط.

2يظن ابن تيمية أن الله جل جلاله داخل العرش ثم ساق الخلاف بينه وبين ابن منده في كون

العرش يخلو من الله إذا نزل الله إلى السماء الدنيا أم لا يخلو. ! انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية
242 / 5

3. وظن أن النزول في ثلث الليل الآخر أنه نزول انتقال فإذا تأملنا في كلامه وجدناه ينقض بعضه بعضاً فإذا كان الإنسان يعتقد أن الله تعالى في مكان فوق العرش وحمل النصوص على أنها فوقية مكانية حسية وليست فوقية عظيمة ومرتبة ثم حمل أحاديث النزول على محمل حسي أيضاً فظن أنه ينزل بذاته إلى السماء الدنيا في وقت محدد وهو ثلث الليل الآخر وعلمنا قطعاً أن ثلث الليل الآخر مستمر على أجزاء الكرة الأرضية في جميع الأوقات، فهو ينتقل من جزء من الأرض إلى جزء آخر وهكذا على مدار الساعة، فيلزم منه أن الله تعالى في السماء الدنيا دائماً. وهذا ينقض دعواهم أنه في جهة فوق العرش. فأَي (عاقل مكلف) يقبل هذا الكلام المتناقض؟!

والنقل يؤيد العقل في ذلك فإن في النقول ما يبين معنى النزول فقد روى النسائي في سننه الكبرى: بسنده إلى مسلم الأغر قال سمعت أبا هريرة وأبا سعيد الخدري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر منادياً ينادي ويقول هل من داع يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى " صححه الحافظ أبو محمد عبدالحق و ممن ذكر ذلك الإمام القرطبي في تفسيره (19 - 35) ويؤيده الحديث الصحيح عن جبير بن مطعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له إلا زانية تسعى بفرجها أو عشار) رواه حمد والنسائي فالنازل إلى السماء الدنيا هو مخلوق من مخلوقات الله تعالى وهو ملك من الملائكة يأمره الله تعالى بذلك، ويصحفي استعمالات العرب ولغتهم أن ينسب الفعل إلى الأمر به فتقول العرب مثلاً: فتح الخليفة بلاد كذا وكذا، ونادى الخليفة الناس إلى الجهاد مع أنه لم يفارق مكانه ولا ناداهم بل الذي فتح البلاد هم الجيش

ولذا تجد الناس يقولون (الملك نادى في الرعية) مع أن المنفذ لذلك النداء هم خدمه ونوابه. ولذا فأحاديث هل من مستغفر فأغفر له المنفذ للنزول والنداء هم الملائكة عليهم السلام كما تدل عليه الأحاديث ويؤيده العقل ولغة العرب وتصرفاتهم. وأما ما جاء بلفظ (عبادي أتوني شعثاً غبراً) فالملائكة يحكون كلام الله ولا يعني أن الملائكة هم الذين يدعون أن الناس عباد لهم. ألا ترى أن القارئ يقرأ في القرآن ((وأنا ربكم فاعبدون)) وكل عاقل يعلم أن القارئ إنما يقرأ كلام الله وليس يزعم أنه هو ربنا سبحانه وتعالى.

قال الحافظ ابن حجر في شرح صحيح البخاري: قال ابن العربي: حكي عن المبتدعة ردّ هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها وبه أقول. فأما قوله: { ينزل } فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن ملكه الذي ينزل بأمره ونهيه، والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي فتلك صفة الملك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي بمعنى أنه لم يفعل ثم فعل فيسمى ذلك نزولاً عن مرتبة إلى مرتبة، فهي عربية صحيحة انتهى. والحاصل أنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين والإجابة لهم ونحوه. انتهى كلام الحافظ ابن حجر. وصدق الإمام ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى حيث قال: في فتح الباري (6/136) (و لا يلزم من كون جهتي العلو و السفلى محال على الله أن لا يوصف . بالعلو . لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى و المستحيل كون ذلك من جهة الحس) اهـ أي أن الله يوصف بالعلو المعنوي وهو علو القدر والقهر والسلطة لا بمعنى العلو الحسي وهو كونه في جهة من الجهات فالجهة العلوية والسفلية مستحيلة في حق الكامل . جل جلاله .. وقد جاء في تفسير الإمام ابن جرير الطبري 192/1 عند تأويل قوله تعالى: {ثم استوى إلى السماء} قال ابن جرير ما نصه (والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: {ثم استوى إلى السماء} الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هرباً من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك أن يكون

إنماعلا و ارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوله بالجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينجمما هرب منه ،فيقال له زعمت أن تأويل قوله (استوى): أقبل، أفكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلكفقل: علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال) انتهى كلام ابن جرير. فاتضح بهذا أن السلف كانوا يؤولون الاستواء بعلو الملك والسلطان والقهر وهو علو رتبة (معنوي) للاحقيقي بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إذن لأهل السنة في المسألة مسلكان: المسلك الأول: الإيمان بنصوص النزول والعلو مع تنزيه الله تعالى عن خصائص المخلوقات من حلول في جهة أو مكان أو نزول انتقال ونحو ذلك من خصائص الأجسام ثم السكوت عن تأويل وبيان معنى النزول والعلو. وهذا يكفي في ذلك كما فعل الإمام مالك وغيره من السلف.

المسلك الثاني: الإيمان بنصوص النزول والعلو مع تنزيه الله تعالى عن خصائص المخلوقات من حلول في جهة أو مكان أو نزول انتقال ونحو ذلك من خصائص الأجسام مع تأويل وبيان معنى النزول والعلو حسب قواعد اللغة العربية والنصوص الشرعية التي يقبلها العقل ويؤيدها النقل كما فعلا لكثير من علماء الأمة من شراح الصحيحين والسنن والمسانيد.

ولطلب الزيادة في ذلك انظر رسالة كتبها بعنوان اتباع المتشابه بين القدريّة والحلولية والجهوية. نسأل الله أن ينفع بها.

وهناك مسائل أخرى لا أريد الإطالة بذكرها، وفي هذا القدر كفاية.

المقدمة الثانية: تطيف ابن تيمية عند وزنه للناس: فمن ذلك:

1. عندما رد الشيخ ابن تيمية على أحد الشيعة ألف كتاباتٍ يسمى منهاج السنة كما يقول ورد فيه على ذلك الشيعي ولكنه كان يبالغ في الرد حتىحط من قدر الصحابي الجليل علي رضي الله عنه، وكذلك زوجته السيدة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك كردة فعل في خصومته مع الشيعي الذي يغلو في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم. رغم أن الحق هو وسط

بين غلو الرافضي وتعصب ابن تيمية فإن الباطل لا يرد بباطل بل يرد بالحق كما قال تعالى ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى)) فكون الإنسان يكره قوماً لا يعني ذلك أن يجعل فيهم ما ليس فيهم، ولا أن يرد على باطلهم بباطل آخر. وإليك بعض ما قال عند رده على البرهان الثاني عشر من براهين الرافضي في كتابه منهاج السنة ما نصه: "معلوم أن الله قد جعل للصحابة مودة في قلب كل مسلم لا سيما الخلفاء رضي الله عنهم لا سيما أبو بكر و عمر فان عامة الصحابة والتابعين كانوا يودونهما وكانوا خير القرون ولم يكن كذلك علي فإن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونونه ويقاتلونهم"... انتهى من كتابه منهاج السنة لابن تيمية المجلد (4/ص38) وهذا الكلام شنيع بلا ريب واتهام لكثير من لصحابة والتابعين ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عن محبة علي بن أبي طالب: ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق كما أخرجه مسلم من حديث علي نفسه قال "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" وانظر هذا الحديث ايضا في صحيح مسلم كتاب الإيمان وكذلك سنن النسائي وغيرهما. وعلى كلام ابن تيمية فكثير من الصحابة والتابعين وقعوا في النفاق!! ومن المعلوم محبة الصحابة لبعضهم كما قال الله تعالى ((رحمنا بيهم)) فعلم من ذلك غلط ابن تيمية الشنيع في حق كثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كما أنه غلط في حق علي رضي الله عنه، ولكن هذا ديدن ابن تيمية في الردود على من يخالفه حيث يتعصب تعصباً يؤدي إلى الوقوع في أخطاء عظيمة غفر الله لنا وله.

2- وإليك مثال آخر على ما أقول: قال ابن تيمية غفر الله لنا وله: (فالمعتزلة في الصفات مخانيث الجهمية و أما الكلابية في الصفات و كذلك الأشعرية و لكنهم كما قال أبو إسماعيل الأنصاري الأشعرية الإناث هم مخانيث المعتزلة و من الناس من يقول المعتزلة مخانيث الفلاسفة

لأنه لم يعلم أن جهما سبقهم إلى هذا الأصل أو لأنهم مخانيثهم من بعض الوجوه. انتهى من كتاب مجموع الفتاوى (8 / 227)

وقال ابن تيمية أيضاً: (وأما المعتزلة فانهم ينفون الصفات مطلقاً ويثبتون أحكامها وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير وأما كونه مريداً متكلماً فعندهم أنها صفات حادثة أو إضافية أو عدمية وهم أقرب الناس إلى الصابئين الفلاسفة من الروم ومن سلك سبيلهم من العرب والفرس حيث زعموا أن الصفات كلها ترجع إلى سلب أو إضافة أو مركب من سلب وإضافة فهؤلاء كلهم ضلال مكذبون للرسول ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصراً نافذاً وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعاً أنهم يلحدون في أسمائه وآياته وأنهم كذبوا بالرسول وبالكتاب وبما أرسل به رسوله ولهذا كانوا يقولون إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه ويقولون أن المعتزلة مخانيث الفلاسفة والاشعرية مخانيث المعتزلة.) انتهى من مجموع الفتاوى (6 / 359) - وقال أيضاً: (لفظية الجهمية الذكور بمرة والأشعرية الإناث بعشرة مرات) منهاج السنة النبوية (1 / 272) وينظر: منهاج السنة (2 / 401)

إذن ابن تيمية يدعي أن المعتزلة كلهم ضلال مكذبون للرسول. ونحن نعلم أن المعتزلة كانت لهم أخطاء في العقيدة خرجوا بها عن عقيدة أهل السنة والجماعة ولكنهم غير مكذبين للرسول فهذه مبالغة واضحة وكذلك لم يكذبوا بالرسول بل آمنوا بجميع الرسل عليهم السلام ولم يكذبوا بالكتاب الكريم بل آمنوا به. فكل هذه دعاوى زائفة باطلة.

وهو يدعي أن المعتزلة غفر الله لنا ولهم مخانيث!!

ويدعي أن الأشاعرة رحمهم الله لمخانيث!!

ورغم ذلك يأتي أتباعه من السلفية فيطبعون هذا الكلام الشنيع دون أي نقد ولا استدراك بل والله أن منهم من يدافع عنه وينشر هذه الأغلاط الشيعة. فتأمل!

وادعى ابن تيمية أن الأشاعرة رحمهم الله تعالى والماتريدية الحنفية رحمهم الله تعالى ضلال مبتدعة. رغم أنهم رؤوس علماء الأمة الإسلامية. فهذا بعض من تطفيفه. إذا علمنا ذلك فلا غرابة فيما

ستراه في هذه الرسالة المسماة بالحموية والتي نقضها الإمام ابن جهيل رحمه الله تعالى فأسأل الله
أن يوفقنا لرضاه جل جلاله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

غيث بن عبدالله الغالي

قال الإمام شهاب الدين بن جهبل رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العظيم شأنه، القوي سلطانه، القاهر ملكوته، الباهر جبروته، الغني عن كل شيء وكل شيء مفتقر إليه، فلامعول لشيء من الكائنات إلا عليه.

أرسل محمد صلى عليه وسلم بالمحجة البيضاء، والملة الزهراء، فأتى بأوضح البراهين، ونور محجة السالكين، ووصف ربه تعالى بصفات الجلال، ونفى عنه ما لا يليق بالكبرياء، والكمال فتعالى الله الكبير المتعال، عما يقوله أهل الغي والضلال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، متطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، فسبحانه ما أعظم شأنه، وأعز سلطانه، (يسأله من في السموات والأرض) لافتقارهم إليه، (كل يوم هو في شأن) لاقتداره عليه.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه، ومبلغ أنبائه، وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد، فالذي دعا إلى تسطير هذه النبذة، ما وقع في هذه المدة، مما علقه بعضهم في إثبات الجهة واغتر بها من لم يرسخ له في التعليم قدم، ولم يتعلق بأذيال المعرفة ولا كبحة لجام الفهم، ولا استبصر بنور الحكمة، فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أبين فساد ما ذكره، مع أنه لم يدع دعوة إلا نقضها، ولا أطمق قاعدة إلا هدمها، ثم استدل على عقيدة أهل السنة وما يتعلق بذلك، وها أنا أذكر قبل ذلك مقدمة يستضاء بها في هذا المكان، فأقول، وبالله المستعان:

مذهب الحشوية⁴ في إثبات الجهة مذهب واهٍ ساقط، يظهر فسادَه من مجرد تصوره، حتى قالت الائمة: لو لا اغترار العامة بهم لما صُرف إليهم عنان الفكر، ولا قطر القلم في الرد عليهم، وهم فريقان:

- 1- فريق لا يتحاشى في إظهار الحشو (ويحسبون أنهم على شيء إلا إنهم هم الكاذبون)
- 2- وفريق يتستر بمذهب السلف لسحت يأكله، أو حطام يأخذها أو هوئى يجمع عليه الطعام الجهلة، والرعاى السفلة، لعلمه أن إبليس ليس له داب إلاخذلان أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ولذلك لا يجتمع قلوب العامة إلا على بدعة وضلالة، يهدم بها الدين، ويفسد بها اليقين، فلم يسمع في التواريخ أنه أخزاه الله جمعيير حوارج أو رافضة أو ملاحدة أو قرامطة، وأما السنة

⁴ لفظ الحشوية يطلق تارة بحق وتارة بباطل فقد أطلقها أهل السنة على المجسمة وغيرهم من المبتدعة وذلك لقولهم بالتجسيم، لأن الجسم محشو، فالحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه، وتكلموا في القرآن والسنة بحسب فهمهم الذي يقود إلى التشبيه وذلك مبلغهم من العلم. كما أطلقها أيضاً بعض المعتزلة على علماء أهل السنة من لأشاعرة وغيرهم. وقد قال الإمام ابن تيمية في منهاج السنة ما نصه 520/2 ((فأما لفظ الحشوية فليس فيه ما يدل على شخص معين ولا مقالة معينة فلا يدري من هم هؤلاء، وقد قيل إن أول من تكلم بهذا اللفظ عمرو بن عبيد، فقال: كان عبد الله بن عمر حشويًا) انتهى وهذا الكلام لم يثبت عن عمرو بن عبيد ولذا ذكره ابن تيمية بصيغة التمريض (قيل) التي تفيد ضعفه وعدم ثبوته.

وقد روى الحاكم في (علوم الحديث) ص 137 في باب (معرفة مذاهب المحدثين) بسند صحيح إلى الإصبهاني أنه قال سمعت أبا داود يقول: كان جرير بن حازم إذا قدم قال شعبة: قد جاءكم هذا الحشوي. انتهى ورواه أيضاً عبد الله بن أحمد في العلل والعقيلي فيالضعفاء في ترجمة جرير.

و شعبة رحمه الله تعالى هو إمام من أئمة أهل السنة أطلق هذا اللفظ على جرير بن حازم فتبين أن اللفظ قد استعمله أهل السنة، وليس مخصوص بطائفة من الناس ولكن غلب عند أهل العلم إطلاقه على المجسمة. ولذا جاء في المعجم الوسيط ما نصه (الحشوية) نسبة إلى الحشو أو الحشا طائفة تمسكوا بالظواهر و ذهبوا إلى التجسيم و غيره. انتهى ومقصوده أنهم فسروا النصوص حسب الظواهر اللغوية التي فهموها بعقولهم مما لا يجوز وصف الله به، فالإشكال ليس في النص معاذ الله وإنما في فهمهم وتفسيراتهم الظاهرية.

والجماعة فلا تجتمع إلا على كتاب الله المبين، وحبله المتين، وفي هذا الفريق من يكذب على السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويزعم أنهم يقولون بمقالته، ولو أنفق ملء الأرض ذهباً ما استطاع أن يروج عليهم كلمة تُصدق دعواه،⁵ وتستتر هذا الفريق بالسلف حفاظاً لرياسته، والخطام الذي يجتليه (يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم) وهؤلاء يتحلون بالرياء والتكشف، فيجعلون الروث مُفضَّضاً، والكنيف مُبَيَّضاً، ويُزهدون في الذرة ليُحصِّلوا الذرة، أظهروا للناس نُسكاً وعلى المنقوش داروا.

مذهب السلف إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه، والمبتدعة تزعم أنها على مذهب السلف.

وكل يـدعون وصال لـلى / ولى لا تقرر لهم بـذاكا وكيف يُعتقد في السلف أنهم يعتقدون التشبيه، أو يسكنون عند ظهور أهل البدع، وقد قال الله: (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)، وقال الله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ)، وقال الله تعالى: (لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ) ولقد كانت الصحابة، رضي الله عنهم، لا يخوضون في شيء من هذه الأشياء، لعلمهم أن حفظ الدماء أهم الأمور، مع أن سيوف حججهم مرهفة، ورماحها مشحودة، ولذلك لما نبغت الخوارجواثبهم حبر الأمة وعالمها وابنا عم رسولها، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعبد الله بن

⁵ وهذا رد من الإمام ابن جهل على قول ابن تيمية (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة: مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وإنه فوق العرش وأنه فوق السماء) انتهى ولا شك أن الله هو العلي الأعلى لكن هل هو علو حسي في مكان وجهة أم هو علو القدر والسلطة؟ فأهل السنة يعتقدون أن الله لا يحل في شيء من مخلوقاته، واما الكرامية والإمام ابن تيمية فيعتقدون أن الله حل في جهة فوق العرش وهذا هو دافع رد الإمام ابن جهل عليه. وسيأتي مزيد من البيان إن شاء الله تعالى.

عباس، فاهتدى البعض بالمناظرة، وأصر الباكون عناداً فتسلط عليهم السيف. ولكن حُكم السيف فيكم مسلط. فنرضى إذا ما أصبح السيف راضياً

وكذلكما نبغ القدر ونجم به معبد الجهني قبيض الله تعالى له زاهد الأمة وابن فاروقها عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولو لم تنبغ هاتان البدعتان لما تكلمتا لصحابة رضي الله عنهما في رد هذا ولا إبطال هذا،⁶ ولم يكن دأبهم إلا الحث على التقوى والغزو وأفعال الخير، ولذلك لم يُنقل عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه رضي الله عنهم، أنه جمع الناس في مجمع عام، ثم أمرهم أن يعتقدوا في الله تعالى كذا وكذا، وقد صدر ذلك في أحكام شتى، وإنما تكلم فيها بما يفهمه الخاص ولا ينكره العام، وبالله أقسم يمينا براءة، ماهي مرة بل ألف ألف مرة، أن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلم لم يقل: أيها الناس، اعتقدوا أن الله تعالى في جهة العلو، ولا قال ذلك الخلفاء الراشدون، ولا أحد من الصحابة⁷، بل تركوا الناس وأمر

⁶ لأن الأصل هو عدم الخوض فيما ليس تحته عمل ولا فائدة من الخوض فيه ولذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخوض في المتشابهات كالخوض في القدر ونحوه. وقال أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا حماد بن زيد، عن أبي عمران الجوني قال: كتب إلي عبد الله بن رباح، يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: هجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فإنا لجلوس إذ اختلف اثنان في آية، فارتفعت أصواتهما فقال: "إنما هلك الأمم قبلكم باختلافهم في الكتاب" ورواه مسلم والنسائي، من حديث حماد بن زيد، بهو عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: لكم تضربون بكتاب الله بعضه ببعض؟!، بهذا هلك من كان قبلكم، - قال: فما غبطت نفسي بمجلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أشهده بم غبطت بذلك المجلس أني لم أشهده -).

⁷ وكلام الإمام ابن جهل حق بلا ريب وإنما الكرامية ثم الإمام ابن تيمية فهموا بقولهم أن الله في الجهة وفسروا نصوص الاستواء والعلو على أنه في الجهة. وفهمهم شيء ونص الشرع على ذلك شيء آخر. ولذا فلن تجد مهما بحثت ما يحنث به الإمام ابن جهل فيما أقسم عليه. وقد سبق بيان ذلك في المقدمة.

التعبادات والأحكام، ولكن لما ظهرت البدع قمعها السلف، أما التحريك للعقائد، والتشهير لإظهارها وإقامة ثائرها، فما فعلوا ذلك⁸، بل حسموا البدع عند ظهورها.

ثم الحشوية إذا بحثوا في مسائل أصول الدين مع المخالفين تكلموا بالمعقول، وتصرفوا في المنقول،⁹ فإذا وصلوا إلى الحشو تبلّدوا وتأسّوا، فتراهم لا يفهمون بالعربية ولا بالعجمية، كلا والله، والله لو فهموا لهاموا، ولكن اعترضوا بحر الهوى فشقوه وعاموا، وأسمعوا كل ذي عقل ضعيف، وذهن سخي، وخالفوا السلف في الكف عن ذلك مع العوام، ولقد كان الحسن البصري رضي الله عنه إذا تكلم في علم التوحيد، أخرج غير أهله، وكانوا رحمهم الله تعالى لا يتكلمون إلا مع أهل السنة منهم، إذ هي قاعدة أهل التحقيق، وكانوا يضمنون به علماً لأحداث، وقالوا: الأحداث هم المستقبلون الأمور، المبتدئون في الطريق، فلم يجربوا الأمور، ولم يرسخ لهم فيها قدم، وإن كانوا أبناء سبعين سنة. وقال سهل رضي الله عنه: لا تطلعوا الأحداث على الأسرار قبل تمكنهم من اعتقاد أن الإله واحد وأن الموحّد فرد صمد منزّه عن الكيفية والأبنية، لا تحيط به الأفكار، ولا تُكَيِّفُه الأبواب، وهذا الفريق لا يكتفي من إيمان

⁸ ولذا فالأصل هو عدم الخوض فيما يشوش عقائد الناس مما يوقعهم في التشبيه أو التعطيل فإن ظهرت بدعة تقود إلى التشبيه وجب قمعها وهكذا يكون التعامل مع سائر البدع.

⁹ أي أنهم عند ردهم على الحلولية تراهم يتصرفون في النصوص الدالة على حلول الله تعالى مع خلقه بأوجه من التأويل سائغة في لغة العرب فقالوا في قوله تعالى ((وهو معكم أين ما كنتم)) هو معنا بعلمه فقط وليس بذاته لأنه ليستحيل أن يحل الخالق في مخلوقاته. وكذلك فعلوا مع القدرية عند دعواهم حدوث علم الله تعالى كقوله تعالى ((لنعلم أي الحزين أحصى لما لبثوا أمدا)) قال القدرية هو يدل على أن الله لم يكن يعلم بهذا ثم علم. وكذلك فعلوا مع الخوارج عند استدلالهم على كفر مرتكب الكبيرة بقوله تعالى ((ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاءه جهنم خالداً فيها..)) فتصرفوا تصرف صحيح وقالوا يحمل على من يستحل ذلك، ولا يحمل على من فعل القتل بلا استحلال وكذا سائر الكبائر. ونحو ذلك من ضروب التأويل اللائق بالله تعالى السائغ في مجاز لغة العرب واستعمالاتهم، فإذا أتوا إلى النصوص الدالة على حلول الله في الجهة لم يفعلوا ذلك ووقعوا في اتباع المتشابه كما وقع الحلولية وغلاة القدرية والخوارج.

الناس إلا باعتقاد الجهة، وكأنه لم يسمع الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" الحديث.

أفلا يكتفي بما اكتفى به نبيهم صلى الله عليه وسلم، حتأنه يأمر الزمى بالخوض في بحر لا ساحل له، ويأمرهم بالتفتيش عما لم يأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتفتيش عنه، ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم، ولا تنازلوا كفى بما نُقل عن إمامه الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، حيث قال: " لا يُوصف الله تعالى إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لانتجاوز القرآن والحديث، ونعلم أن ما وُصِفَ الله به من ذلك فهو حق، ليس فيه لغو ولا أحاج، بل معناه يُعرف من حيث يُعرف مقصود المتكلم بكلامه، وهو مع ذلك (ليس كمثله شيء) في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، فكان ينبغي أن الله سبحانه له ذات حقيقية، وأفعال حقيقية، وكذلك له صفات حقيقية، وهو (ليس كمثله شيء) لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكل ما أوجب له نقصاً أو خدوئاً فإن الله عز وجل منزّه عنه حقيقةً، فإنه سبحانه مُستحق للكمال الذي لا غاية فوقه، وممتنع عليه الحدوث لا متناع العدم عليه، واستلزام الحدوث سابقة العدم، وافتقار المحدث إلى مُحدث ووجوب وجوده بنفسه سبحانه وتعالى" هذا نص إمامه، فهلا اكتفى به.¹⁰

¹⁰ إما أن يكون الإمام ابن جهيل رأى الكلام بطوله للإمام أحمد رحمه الله تعالى كما نقله في هذه الرسالة. أو أنه يعني ما نقله الإمام ابن تيمية في رسالته الحموية عن الإمام أحمد. فإن كان الاحتمال الأول فهو واضح، وإن كان هو الاحتمال الثاني فكلام ابن تيمية يوهّم أن الكلام كله للإمام أحمد والبعض يقول أن كلام الإمام أحمد انتهى عند قوله (... لانتجاوز القرآن والحديث) لكن الإمام ابن تيمية غفر الله له خلط كلامه بكلام الإمام أحمد دون أن ينبّه على نهاية النقل الذي نقله عن الإمام أحمد.

وعلى كلا الاحتمالين فإنه كلام صحيح سواء كان كله للإمام أحمد أو بعضه له وبعضه لابن تيمية، لكن الإمام ابن تيمية لم يقف عن النصوص بل فسرها بفهمه الذي وافق فيه فهم الكرامية ونحوهم من المشبهة فليته اقتصر على كلام الإمام أحمد وحذا حذوه.

ولقد أتى إمامه في هذا المكان بجوامع الكلم، وساق أدلة المتكلمين على ما يدعيه هذا المارق بأحسن رد وأوضح معان، مع أنه لم يأمر بما أمر به هذا الفريق.

وقد قال الشافعي رضي الله عنه: سألت مالكا عن التوحيد، فقال: محال أننظن بالنبى صلى الله عليه وسلم أنه علم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله" الحديث، فبين مالك رضي الله عنه أن المطلوب من الناس في التوحيد هو ما أشتمل عليه هذا الحديث، ولم يقل: من التوحيد اعتقاد أن الله تعالى في جهة العلو.

وسئل الشافعي رضي الله تعالى عنه عن صفات الله فقال: حرام على العقول أن تُثَلَّ الله تعالى، وعلى الأوهام أن تحد¹¹، وعلى الظنون أن تقطع، وعلى النفوس أن تُفكر، وعلى الضمائر أن تُعمق، وعلى الخواطر أن تُحيط إلا ما وصف به نفسه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم. ومن تقصى وفتش وبحث وجد أن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين والصدور الأول لم يكن دأبهم غير الإمساك عن الخوض في هذه الأمور، وترك ذكرها في المشاهد، ولم يكن يدسونها إلى العوام، ولا يتكلمون بها على المنابر، ولا يوقعون في قلوب الناس منها هواجس كالحرقيق المشتال، وهذا معلوم بالضرورة من سيرهم، وعلى ذلك بنينا عقيدتنا وأسسنا نحلتنا، وسيظهر لك إن شاء الله تعالى موافقتنا للسلف، ومخالفة المخالف طريقهم وإن ادعى الإتياع، فما سلك غير الابتداع. وقول المدعي إنهم أظهروا هذا،¹² وقول: علم النبي صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة، وما علم هذا المهم، هذا بهرج لا يمشي على الصيرفي النقاد، أو ما علم أن الخراءة يحتاج إليها كل واحد، وربما تكررت الحاجة إليها في اليوم مرات، وأي حاجة بالعوام والخواص في الصفات؟! نعم الذي يحتاجون إليه من التوحيد قد تبين في حديث: "أمرت أن أقاتل الناس - حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله -"، ثم هذا الكلام من المدعي يهدم بنيانه، ويهد أركانه، فإن النبي صلى الله عليه

¹¹ والإمام ابن تيمية قال إن الله محدود كما ذكرته في المقدمة فجاوز توهم الحد إلى التصريح به.

¹² أي الدعوة إلى اعتقاد الجهة.

وسلم علّم الخُرّة تصرّيحاً، وما علم الناس أن الله تعالى في جهة العلو. وما ورد من العرش والسماء في الاستواء، فقد بنى المدعي مبناه، وأوثق عُربدعواه، على أن المراد بهما شيء واحد، وهو جهة العلو، فما قاله هذا المدعي لم يُعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أُمته، وعلمهم الخُرّة، فعند المدعي يجب تعليم العوام عقيدة الجهة، وما علّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما نحن فالذي نقولُه أنه لا يُخاض في مثل هذا، ويُسكت عنه كما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، ويسعنا ما وسعهم، ولذلك لم يوجد منا أحد يأمر العوام بشيء من الخوض في الصفات، والقوم قد جعلوا دأبهم الدخول فيها والأمر بها، فليت شعري من الأشبه بالسلف؟¹³

وها نحن نذكر عقيدة أهل السنة، فنقول:

عقيدتنا أن الله قديم أزلي،¹⁴ لا يشبه شيئاً ولا يُشبهه شيء، ليس له جهة ولا مكان، ولا يجري عليه وقت ولا زمان¹⁵، ولا يقال له أين¹⁶ ولا حيث. يُرى لا عن مُقابلة ولا على مُقابلة.¹⁷ كان ولا مكان، وكَوّن المكان، ودبر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان.

¹³ لأن المطلوب هو الإيمان الجملي بذلك وإمرارها كما جاءت، وليس المطلوب الخوض في تفاسير الاستواء والنزول ونحوها مما خاض فيه الشيخ ابن تيمية.

¹⁴ كما قال تعالى (هو الأول والآخر) وقال سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم ((وأنت الأول فليس قبلك شيء)) وقال ((أعوذ بالله العظيم وسلطانه القديم)) ووصف صفاته بالقدم دال على وصف الله بالقدم فهو كما قال الإمام الطحاوي قديم بلا ابتداء. ونقل الإمام البيهقي الإجماع على ذلك.

¹⁵ لأن ما من شيء إلا وله وقت بدأ منه إلا الله تعالى فهو بخلاف الأشياء فلا يرتبط وجوده بأي مخلوق لا بزمان ولا مكان ولا نوع ولا فرد ولا غير ذلك.

¹⁶ مقصود المؤلف أنه لا يقال له أين الدالة على السؤال عن مكان يحل الله فيه سبحانه وتعالى، أما إذا قيل هذا السؤال بقصد الاستفهام عن مدى تعظيم السائل له فهو سؤال عن المكانة لا عن المكان، وهذا سائغ كما في حديث الجارية.

هذا مذهب أهل السنة، وعقيدة مشايخ الطريق.

قال الجنيد رضي الله عنه: متى يتصل من لا شبيهه ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟ وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازي: أخبرنا عن الله عز وجل؟ فقال: إله واحد. فقيل له: كيف هو؟ فقال: مالك قادر. فقيل له: أينهو؟ فقال: بالمرصاد. فقال السائل: لم أسألك عن هذا، فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه. وكما سأل ابن شاهين الجنيد رضي الله عنهما عن معنى "مع" فقال: "مع" على معنيين، مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قالتعالى: (إني معكما أسمع وأرى)، ومع العالم بالعلم والإحاطة، قال الله تعالى: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) فقال ابن شاهين: مثلك يصلح دالا للأمة على الله.

وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه، عن قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى)، فقال: أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء بحكمته كما شاء.

وسئل الشبلي رضي الله عنه فقال: الرحمن لم يزل والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى. وسئل عنها جعفر بن نصير، فقال: استوى علمه بكل شيء، وليس شيء أقرب إليه من شيء. وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

وقال محمد بن محبوب خادم أبي عثمان المغربي، قال لي أبو عثمان المغربي يوماً: يا محمد، لو قال لك قائل: أين معبودك أيش تقول؟ قلت: أقول: حيث لم يزل. قال: فإن قال: فأين كان في

¹⁷ لأن اعتقاد امتناع رؤية الله إلا بشرط كونه في جهة هو فرع عن تصور كفيات لله تعالى وكونه محدود والله تعالى ليس كمثله شيء بل نؤمن برؤية المؤمنين له يوم القيامة مع عدم الدخول في الكفيات وذلك إيمان بالنصوص بدون تشبيه ولا تكييف.

الأزل أيشقول؟ قلت: حيث هو الآن. يعني أنه كان ولا مكان فهو الآن كما كان، قال: فارتضى ذلكمني، ونزع قميصه فأعطانيه.

وقال أبو عثمان المغربي: كنت أعتقد شيئاً من حديثالجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابي بمكة أني أسلمت جديداً. قال: فرجع كل من كان تابعه على ذلك. فهذه كلمات أعلام أهل التوحيد، وأئمة جمهور الأمة، سوى هذه الشرذمة الزائغة، وكتبهم طافحة بذلك، وردهم على هذه النازغة لا يكاد يُحصر، وليس غرضنا بذلك تقليدهم، لمنع ذلك في أصول الديات، بل إنما ذكرتلك ليعلم أن مذهب أهل السنة ما قدمناه.

ثم إن قولنا إن آيات الصفاتوأخبارها، على من يسمعها وظائف التقديس، والإيمان بما جاء عن الله تعالى وعن رسولله صلى الله عليه وسلم على مراد الله تعالى، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، والتصديقوالاعتراف بالعجز، والسكوت والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة،¹⁸ وكف الباطن عنالتفكر في ذلك، واعتقاد أن ما خفي عليه منها لم يخف عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وسيأتي في شرح هذه الوظائف إن شاء الله تعالى، فليت شعري في أي شيء نخالف السلف، هل هو في قولنا: كان ولا مكان؟ أو في قولنا: إنه تعالى كون المكان، أو في قولنا: وهو الآن على ما عليه كان؟

أو في قولنا: تقدس الحق عن الجسميةومشابهتها؟ أو في قولنا: يجب تصديق ما قاله الله تعالى ورسوله بالمعنى الذي أراد؟ أو في قولنا: يجب الاعتراف بالعجز؟ أو في قولنا: نسكت عن السؤال والخوض فيما لا طاقة لنا به؟ أو في قولنا: يجب إمساك اللسان عن تغيير الظواهر بالزيادة والنقصان؟

وليت شعري في ماذا وافقواهم السلف، هل في دعيهم إلى الخوض في هذا والحث على البحث مع الأحداث الغرين، والعوام الطغام الذين يعجزون عن غسل محل النجو وإقامة دعائم الصلاة؟ أو

¹⁸ فيقال (الرحمن على العرش استوى) ولا يقال انه مستو ونحو ذلك فلا يتصرف حتى يبدال لفظ مكان لفظ وخصوصاً في بلاد عمها التجسيم.

وافقوا السلف في تنزيه الباري سبحانه وتعالى عن الجهة؟ وهل سمعوا في كتاب الله أو أثارة من علم عن السلف أنهم وصفوا الله تعالى بجهة العلو،¹⁹ وأن كلما لا يصفه به فهو ضال مضل من فراخ الفلاسفة والهنود واليونان؟

(انظر كيفيفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا)

ونحن الآن نبتدئ بإفساد ما ذكره، ثم بعد ذلك نقيما الحجة على نفي الجهة والتشبيه، وعلى جميع ما يدعيه، وبالله المستعان، فأقول:

ادعى أولاً أنه يقول بما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم، ثم إنه قال ما لم يقله الله ولا رسوله ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولا شيئا منه، فأما الكتاب بالسنة فسنبين مخالفته لهما، وأما السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار فذكرهم في هذا الموضع استعاره للتهويل، وإلا فهو لم يورد من أقوالهم كلمة واحدة، لانفيا ولا إثباتاً، وإذا تصفحت كلامه عرفت ذلك، اللهم إلا أن يكون مراده من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدته دون الصحابة. وأخذ بعد هذه الدعوى في مدحه صلى الله عليه وسلم وفي مدح دينه، وأن أصحابه أعلم الناس بذلك، والأمر كما قاله وفوق ما قاله، وكيف المدائح تستوفي مناقبه، ولكن كلامه كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل.

ثم أخذ بعد ذلك في مدح الأئمة وأعلام الأمة، حيث اعترفوا بالعجز عن إدراكه سبحانه وتعالى، مع أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم قال: "لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، وقال الصديق رضي الله عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك. وتجاسر المدعي على دعوى المعرفة، وأن ابن الحيز قد عرف القديم. جل جلاله. على ما هو عليه! ولا غرور ولا جهل أعظم ممن يدعي ذلك، فنعوذ بالله من الخذلان.

¹⁹ إذا ورد عن السلف أقوال في ذلك فتحمل على العلو المطلق لا التحيز في الجهة.

ثم أخذ بعد ذلك في نسبة مذهب جمهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أنه مذهب فراخ الفلاسفة، وأتباع اليونان والهنود (ستكتب شهادتهم ويسئلون)

ثم قال: كتاب الله تعالى أوله إلى آخره، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من أولها إلى آخرها، ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو: إما نص²⁰ وإما ظاهر في أن الله تعالى فوق كل شيء، وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء. وقال في أثناء كلامه، وأواخر ما زعمه: إنه فوق العرش حقيقة. وقاله في موضع آخر عن السلف! فليت شعري أين هذا في كتاب الله تعالى على هذه الصورة، التي نقلها عن كتب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؟ وهل في كتب الله تعالى كلمة مما قاله حتى يقول: إنه فيه نص؟ والنص هو الذي لا يحتمل التأويل البتة، وهذا مراده، فإنه جعله غير الظاهر، لعطفه عليه، وأي آية في كتاب الله تعالى نصٌ بهذا الاعتبار فأول ما استدل به قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب)، فليت شعري أي نص في الآية أو ظاهر على أن الله تعالى في السماء أو على العرش؟ ثم نهاية ما يتمسك به أنه يدل على علو يفهم منه الصعود، وهيئات، زل حمار العلم في الطين، فإن الصعود في الكلام كيف يكون حقيقته مع أن المفهوم في الحقائق أن الصعود من صفات الأجسام! ²¹ فليس المراد إلا القبول²²، ومع هذا لا أحد ولا مكان²³.

²⁰ دلالة النص: هي اللفظ الذي لا يحتمل إلا معنى واحد فقط. ودلالة الظاهر: هي ما يحتمل معنيين أحدهما أرجح من الآخر.

²¹ لأن العمل ليس جسم بل هو معنى من المعاني فالمقصود بالصعود هو قبول الله للعمل لا الصعود المعروف في الأجسام.

²² جاء عن في تفسير الطبري في قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه. أه ففسروا الصعود بالقبول ويقوي هذا المعنى حديث ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً)). ومع ذلك فالمحذور هو حمل المعنى على تحيز الله في الجهات وإلا فالأصل هو السكوت مع تنزيه الله عن ما لا يليق به

وأتبعهما بقوله تعالى: (إني متوفيك ورافعك إليّ) وما أدري من أين استنبط من هذا الخبر أن الله تعالى فوق العرش من هذه الآية! هل ذلك بدلالة المطابقة أو التضمن أو الالتزام، أو هو شيء أخذه بطريق الكشف والنفث في الروع؟ ولعله اعتقد أن الرفع إنما يكون في العلو في الجهة، فإن كان كما خطر له فذلك أيضاً يُعقل إلا في الجسمية والحدية، وإن لم يقل بهما، فلا حقيقة فيما استدل به،²⁴ وإنقال بهما فلا حاجة إلى المغالطة،²⁵ ولعله لم يسمع الرفع في المرتبة والتقريب في المكانة، من استعمال العرب والعرف، ولا "فلان رفع الله شأنه".²⁶ وأتبع ذلك بقوله: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) وخص هذا المستدل "من" بالله تعالى، ولعله لم يُجوز أن المراد به ملائكة الله تعالى، ولعله يقول: إن الملائكة لا تفعل ذلك، ولا أن جبريل عليه السلام خسف بأهل سدوم، فلذلك استدل بهذه الآية، ولعلها النص الذي أشار إليه.²⁷

²³ فإذا أجرى الآية بدون تفسيرات فيجب اعتقاد أن صعود لا بمعنى وجود الله في مكان وجهة ولا بمعنى أن الله له حد محدود سبحانه وتعالى، لأن هذا أصل مقطوع به لقوله تعالى ((ليس كمثله شيء وهو السميع العليم))

²⁴ لأن ابن تيمية فهم أن الله في الجهة بكون عيسى عليه السلام رفع إلى جهة يوجد الله فيها. وهذا لا يستوى إلا إن اعتقد أن الله له حد سيصل عيسى عليه السلام إليه وهذا هو المعنى على الحقيقة في اللغة.
²⁵ أي لاداعي لأن يدعي أنه على مذهب السلف بل الواجب أن يصرح بأنه يعتقد أن الله محدود. وابن تيمية قد صرح بالحد في كتب أخرى كما تم بيانه في المقدمة، ووضح أن المصنف لم يعلم بأنه وصل الأمر إلى هذه الدركة.

²⁶ يقصد المصنف أن الرفع له معان عديدة فلماذا يدعي ابن تيمية أن الآية تدل دلالة قطع على المعنى الذي يريده، بل ولا هو ظاهر، لاستحالة حلول الله في الأمكنة. ومعلوم أن عيسى عليه السلام في السماء الرابعة كما في حديث المعراج وابن تيمية لا يدعي أن الله في السماء الرابعة، فكان استدلاله بالآية فيه مغالطة واضحة.

²⁷ لم يأت في الآية أن الله في السماء بل قال ((أأمنتم من في السماء)) ولم يقل الله الذي في السماء وإنما ابن تيمية فهم ذلك بعقله مع أن المعنى يحتمل تقدير الأفاضل أخرى مثل أأمنتم من في السماء جنوده أو ملك من ملائكته. فإن جبريل عليه السلام هو الذي خسف بقوم لوط بأمر الله تعالى فيحتمل احتمالاً قوياً أن يكون هذا هو المعنى المراد لأن الملائكة مسكنها السموات والله لا يحل في الأمكنة لا في السماء ولا

وأتبعه بقوله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) والعروج والصعود شيء واحد، ولا دلالة في الآية على أن العروج إلى سماء ولا عرش ولا شيء من الأشياء التي ادعاها بوجه من الوجوه،²⁸ لأن حقيقته المستعملة في لغة العرب في الانتقال في حق الأجسام، إذ لا تعرف العرب إلا ذلك، فليت لو أظهره واستراح منكتماناً.²⁹ وأردفه بقوله تعالى: (يخافون ربهم من فوقهم) وتلك أيضاً لا دلالة له فيها على سماء ولا عرش، ولا أنه في شيء من ذلك حقيقة.³⁰

ثم الفوقية ترد لمعنيين:

أحدهما، نسبة جسم إلى جسم، بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يُجسّم، وبتقدير أن يكون هو المراد وأنه تعالى ليس بجسم فلم لا يجوز أن يكون (من فوقهم) صلة (يخافون) ويكون تقدير الكلام: يخافون من فوقهم ربهم. أي أن الخوف من جهة العلو، وأن العذاب يأتي من تلك الجهة.

الأرض. فابن تيمية أخذ ذلك بدلالة المفهوم لا بدلالة المنطوق فأين ما ادعاه من دلالة النص أو الظاهر؟! ولذا قال المصنف ولعلها النص الذي أشار إليه. أي لعلها دلالة النص التي يدعيها الشيخ تقي الدين بن تيمية. !

²⁸ لأنه ليس في الآية ذكر أن الملائكة تعرج إلى الله في مكان أو جهة بل هو كقول سيدنا إبراهيم عليه السلام ((إني ذاهب إلى ربي سيهدين)) وهو سافر من بلده إلى بلد آخر ولا يعني هذا أن الله حال في ذلك البلد الذي سافر إليه. وأيضاً هو كقول الله تعالى في الظل ((ثم قبضانه إلينا قبضاً يسيراً)) وليس المعنى أن الله في المكان الذي يتقلص إليه الظل. إذن فحرف إلى الذي فهم منه الشيخ ابن تيمية وجود الله في مكان هو فهم خاطيء لأن استعمالات ذلك متعددة في اللغة فلا يجوز أن يختار منها ما يوهم وجود الله في مكان وجهة لأن ذلك من دلائل التجسيم.

²⁹ أي إذا كان يعتقد أن الله سبحانه وتعالى جسم كما هو لازم أقواله فلماذا لا يظهر ذلك صراحة؟!

³⁰ لأنه ليس بمعنى الحلول في مكان أو جهة الفوق؛ بل هي فوقية قهر وقوة وسلطة كما قال تعالى ((وإنا فوقهم قاهرون)) فهذه الآية تفسر غيرها من النصوص التي ذكرت فيها الفوقية؛ فوضح الله فيها أن الفوقية هي بالقهر، ولذا لا يجوز أن يتصور العبد أن فوقية الله تعالى هي فوقية الحلول في الأمكنة والجهات وغيرها من المخلوقات مع وجود معنى للفوقية هو الآتي بالله تعالى.

وثانيهما، بمعنى المرتبة، كما يقال: الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الأمير. وكما يقال: جلس فلان فوق فلان، والعلم فوق العمل، والصباغة فوق الدباغة. وقد وقع ذلك في قوله تعالى، حيث قال: (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولم يطلع أحدهم على أكتاف الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: (وإنامن فوقهم قاهرون) وما ركبت القبطُ أكتاف بني إسرائيل، ولا ظهورهم.

وأردف ذلك بقوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) وورد هذا في كتاب الله في ستة مواضع فيكتابه، وهي عمدة المشبهة وأقوى مُعتمدهم، حتى إنهم كتبوها على باب جامع همدان، فنصرف العناية إلى إيضاها، فنقول:

إما أنهم يعزلون العقل بكل وجه وسبب، ولا يلتفتون إلى ما سُمِّيَ فهما وإدراكاً، فمرحبا بعقلهم، وبقول (الرحمن على العرش استوى)³¹، وإن تعدوا هذا إلى أنه مستو على العرش فلا حبا ولا كرامة، فإن الله تعالى ما قاله، مع أن علماء البيان كالمُتفقين على أن في اسم الفاعل من الثبوت ما لا يفهم من الفعل. وإن قالوا: هذا يدل على أنه فوقه، فقد تركوا ما التزموه، وبالغوا في التناقض والتشهي والجرأة.

وإن قالوا: بل نُبقي العقل، ونفهم ما هو المراد، فنقول لهم: ما هو الاستواء في كلام العرب؟ فإن قالوا: الجلوس والاستقرار. قلنا: هذا ما تعرفه العرب إلا في الجسم، فقولوا: يستوي جسم على العرش. وإن قالوا: جلوس واستقرار نسبته إلى ذات الله تعالى كنسبة الجلوس إلى الجسم. فالعرب لا تعرف هذا حتى يكون هو الحقيقة، ثم العرب تفهم استواء القدح الذي هو ضد الاعوجاج، فوصفوه بذلك وتبرؤوا معه من التجسيم، وسدوا باب الحمل على غير الجلوس، ولا يسدونه في قولهم تعالى: (وهو معكم أين ما كنتم) وقوله تعالى: (ونحن اقرب إليه من حبل الوريد)، ولا تقولوا:

³¹ أي إما أنهم يتركون تفسيراتها بعقولهم فذكر الاستواء بلفظه الذي وردت به النصوص حق لا مربة فيه، وإما أن يفسروها بعقولهم ويغيروا اللفظ الذي ورد به النص إلى لفظ من عندهم مع دفع المعنى الباطل بل بما يؤيد المعاني الباطلة كالاستقرار والتمكن والجلوس ونحوها فهذا مردود عليهم لغة وشرعاً.

معهم بالعلم. وإن قلت ذلك فلم تُحلونه عاما وتحرمونه عاما؟³² ومن أين لكأن ليس الاستواء فعلا من أفعاله تعالى في العرش؟ فإن قالوا: ليس هذا كلام العرب. قلنا ولا كلام العرب "استوى" بالمعنى الذي تقولونه بلا جسم.

ولقد رام المدعي التفلت من شرك التجسيم، بما زعمه من أن الله تعالى في جهة، وأنه استوى على العرش استواء يليق بجلاله. فنقول له: قد صرت الآن إلى قولنا في الاستواء، وأما الجهة فلا تليق بالجلال. وأخذ على المتكلمين قولهم: إن الله تعالى لو كان في جهة، فإما أن يكون أكبر أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك محال. قال: فلم يفهموا من قول الله تعالى: (على العرش) إلا ما يُثبتون لأي جسم كان على أي جسم كان. قال: وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم، وأما استواء يليق بجلال الله فلا يلزمه شيء من اللوازم. فنقول: أتمينا مرة وقيسيا أخرى! إذا قلت استواء يليق بجلال الله، فهو مذهب المتكلمين، وإذا قلت: استواء هو استقرار واختصاص بجهة دون أخرى لم يجد ذلك تخلصاً من التردد المذكور، والاستواء بمعنى الاستيلاء.

وأشهد له في هذه الآية أنها لمترد قط إلا في إظهار العظمة والقدرة والسلطان والملك، والعرب تكنى بذلك عن الملك فيقولون: فلان استوى على كرسي المملكة، وإن لم يكن جلس عليه مرة واحدة، ويريدون بذلك الملك.³³

وأما قولهم: فإن حملتم الاستواء على الاستيلاء لم يبق لذكر العرش فائدة، فإن ذلك في حق كل المخلوقات، فلا يختص بالعرش. فالجواب عنه: أن كلام الموجودات لما حواها العرش كان الاستيلاء عليه استيلاءً على جميعها، ولا كذلك غيره، وأيضا فكناية العرب السابقة ترجحه، وقد تقدم

³² أي لماذا تجيزون التأويل تارة إذا كان تفسير اللفظ على الحقيقة اللغوية يفيد حلول الله سبحانه في المخلوق السفلي ولا تجيزونه إذا كان تفسير اللفظ على الحقيقة اللغوية يفيد حلول الله سبحانه في المخلوق العلوي مع أن كلاهما تجسيم. فهذا تحكم وهوى.

³³ أي أن المقصود من آيات الاستواء هو أن المخلوقات وأعظمها العرش تحت ملك الله وقهره.

الكلام عن السلف في معنى الاستواء، كجعفر الصادق، ومن تقدم. وقولهم: استوى بمعنى استولى، إنما يكون فيما يدافع عليه.³⁴

قلنا: واستوى بمعنى جلس أيضا إنما يكون في جسم، وأنتم قد قلتم إنكم لا تقولون به، ولو وصفوه تعالى بالاستواء على العرش لما أنكرنا عليهم ذلك، بل نعدهم إلى ما يشبه التشبيه، أو هو التشبيه المحذور، والله الموفق.

واستدل بقوله تعالى حكاية عن فرعون: (يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى) فليت شعري كيف فهم من كلام فرعون أن الله تعالى فوق السموات، وفوق العرش يُطلع إلى إله موسى؟!³⁵

وأما أن إله موسى في السموات فما ذكره، وعلى تقدير فهم ذلك من كلام فرعون فكيف يستدل بظن فرعون وفهمه، مع إخبار الله تعالى أنه زُين له سوء عمله، وأنه حاد عن سبيل الله عز وجل، وأن كيد هفي ضلال، مع أنه لما سأل موسعه السلام وقال: وما رب السموات؟ لم يتعرض موسعه السلام للجهة، بل لم يذكر إلا أخص الصفات، وهي القدرة على الاختراع، ولو كانت الجهة ثابتة، لكان التعريف بها أولى، فإن الإشارة الحسية من أقوى المعارف حساً وعرفاً،

³⁴ لهم اعتراضان: الاعتراض الأول: أن الاستيلاء لا يكون إلا بمعنى وجود من كان ينازع الله في ذلك. وجواب هذا الاعتراض عند من يفسر الاستواء بالاستيلاء على العرش أنه ليس استيلاء عن سبق مغالبة مع شيء كما تظنون؛ بل هو كقول الله تعالى ((والله غالب على أمره)) ولم يكن ذلك عن سبق مغالبة مع شيء ينازعه جل شأنه فكذلك الاستيلاء ليس بعد منازعة مع شيء.

الاعتراض الثاني: أن جميع المخلوقات تحت قهر الله تعالى فلماذا ذكر العرش فقط. وجواب ذلك: أن العرش أعظم المخلوقات فإذا كان هو تحت قهر الله تعالى فمن باب أولى أن مادونه من المخلوقات أيضاً تحت قهر الله جل جلاله.

³⁵ لأنه ليس في الآية لا ذكر العرش ولا أنه فوق السموات، فكيف فهم أن فرعون أطلع على أن الله فوق عرش وأنه فوق سموات. والاية ما ذكرت ذلك قط ولا يفهم منها ذلك قط.

وفرعون سأل بلفظة "ما" فكان الجواب بالتحيز أولى من الصفة.³⁶ وغاية ما فهمهم هذه الآية واستدل به فهم فرعون، فيكون عمدة هذه العقيدة كون فرعون ظنها، فيكونهو مستندها³⁷. فليت شعري لم لا ذكر النسبة إليه، كما ذكر أن عقيدة ساداتأمة محمد صلى الله عليه وسلم، الذين خالفوا اعتقاده في مسألة التحيز والجهة الذينألحقهم بالجهمية، مُتلقاة من لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم.³⁸

وختم الآيات الكريمة بالاستدلال بقوله تعالى: (تنزيل من حكيم حميد) (مُنزل من ربك بالحق) وما في الآيتين لا عرش ولا كرسي ولا أرض،³⁹ بل ما فيهما إلا مجرد التنزيل، وما أدري من أي الدلالات استنبطها المدعي! فإن السماء لا تُفهم منالتنزيل، فإن التنزيل قد يكون من السماء وقد يكون من غيرها، ولا تنزيل القرآن كيفيفهم من النزول، الذي هو انتقال من فوق إلى أسفل! فإن العرب لا تفهم ذلك في كلام، سواء كان من عرض أو غير عرض، وكما تُطلق العرب النزول على الانتقال تُطلقه علىغيره، كما جاء في كتابه العزيز: (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد)، وقوله تعالى(وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ولم ير أحد قطعة حديد نازلة من السماء فيالهواء، ولا جملاً يُخلّق من السماء إلى الأرض، فكما جوز هنا أن النزول غير الانتقالمن العلو إلى السفلى، فليجوزه هناك.

هذا آخر ما استدل به من الكتاب العزيز، وقد ادعى أولاً أنه يقول ما قاله الله، وأن ما ذكره من الآيات دليل على قوله، إمانصا وإما ظاهرا، وأنت إذا رأيت ما ادعاه، وأمعنت النظر فيما

³⁶ رحم الله الإمام ابن جهيل ما أدق فهمه وما أوسع علمه باللغة والعقيدة.

³⁷ أي فيكون فرعون هو مؤسس عقيدة الجهة.

³⁸ أي كما أنه بهت علماء الأمة وقال إن عقيدتهم أسسها لبيد بن الأعصم، فليته أنصف من نفسه وكال بنفس الكيل فقال إن اعتقاد الجهة تلقاه من فرعون.

³⁹ وهذا هو الرد الواضح فإنه دعوى ابن تيمية أن الله في جهة محددة وهي جهة فوق العرش والآية لا يوجد فيه لا بدلالة النص القطعي ولا بدلالة النص الظاهر أن الله في ذلك المكان بل لم يذكر لفظ العرش في هذه الآيات التي يستدل بها فلماذا يقحمها في التدليل على ما يريد؟!

قلناه، واستقرت هذه الآيات، لم تجد فيها كلمة على وفق ما قاله أولاً، لا نصاً ولا ظاهراً ألبتة، وكل أمر بعد كتاب الله تعالى والدعوى عليه خلل.

ثم استدل من السنة بحديث المعراج، ولم يرد في حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة، ولا كلمة واحدة من ذلك، وهو لم يسرد حديث المعراج، ولا بين الدلالة منه، حتى نجيب عنه، فإن بَيّن وجه الاستدلال عَرَفناه كيف الجواب.⁴⁰

واستدل بنزول الملائكة من عند الله تعالى، والجواب عن ذلك أن نزول الملائكة من السماء إنما كان لأن السماء مقرهم، والعندية لا تدل على أن الله في السماء، لأنه يُقال في الرسل الآدميين: إنهم من عند الله، وإن لم يكونوا نزلوا من السماء، على أن العندية قد يراد بها الشرف والرتبة، قال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب)، وتُستعمل في غير ذلك، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حكاية عن ربه عز وجل: "أنا عند ظن عبدي بي".

وذكر عروج الملائكة، وقد سبق، وربما شدّ فقار ظهره، وقوى مُنَّة مُنَّته بلفظة (إلى ربهم) (وأن (إلى) لانتها الغاية، وأنها في قطع المسافة، وإذا سكت عن هذا لم يتكلم بكلام العرب، فإن المسافة لا تفهم العرب منها إلا ما تنتقل فيه الأجسام، وهو يقول إنهم لا يقولون بذلك، وقد قال الخليل صلى الله عليه وسلم: (إني ذاهب إلى ربي) وليس المراد بذلك الانتهاء الذي عناه المدعي بالاتفاق، فلم يجترأ على ذلك في كتاب الله تعالى، ولا يُجاب به في خبر الواحد!

⁴⁰ المعراج بالرسول صلى الله عليه وسلم كان إلى مكان معين. ولا يوجد أن الله كان في ذلك المكان بل ليس فيه إلا أن الله تعالى كلمه وشرع الفروض الخمسة ونحو ذلك. وهذا ليس فيه دلالة على أن الله كان في مكان، بل فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرج به إلى مكان وكما أننا نناجي الله وندعوه ونحن في مكان هو الأرض فلا يلزم منه أنه أيضاً في مكان بل هو يعلم دعاءنا ويسمع ابتهالاتنا كما يليق به تعالى دون أن نتخيل قرب مكاني أو مسافة مكانية. ويبدو أن ابن تيمية فهم ذلك من الألفاظ التي شد بها أحد الرواة عن بقية الرواة الثقات وقد بين الحافظ ابن حجر شدوذها وضعفها وانفراد الراوي بها كما في فتح الباري عند شرحه لحديث افسراء والمعراج فراجعه فغنه نفيس.

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر من في السماء صباحا ومساءً"، وليس المراد بمن هو الله تعالى، ولا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، ولا خصه به، ومنأين للمدعي أنه ليس المراد بمن الملائكة، فإنهم أكبر المخلوقات علما بالله تعالى، وأشدهم اطلاعا على القرب، وهم يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمين، وهو عندهم في هذه الرتبة، فليعلم المدعي أنه ليس في الحديث ما ينفي هذا، ولا ما يثبت مادعا. ⁴¹

ثم ذكر حديث الرقية: "ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رزقك في السماء" الحديث. وهذا الحديث بتقدير ثبوته، فالذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم فيه: "ربنا الذي في السماء تقدس اسمك" ما سكت النبي صلباً عليه وسلم على "في السماء" فلا ي معنى نقف نحن عليه، ونجعل "تقدس اسمك" كلاماً مستأنفاً؟ هل فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا، أو أمر به؟! وعند ذلك لا يجد المدعي مخلصاً إلا أن يقول: الله تقدس اسمه في السماء والأرض، فلم تُخصَّصَت السماء بالذكر؟ فنقول له: ما معنى "تقدس"؟ إن كان المراد به التنزيه من حيث هو تنزيه فذلك ليس في سماء ولا أرض، إذ التنزيه نفي النقائص، وذلك لا تعلق له بجرباء ولا غبراء، فإن المراد أن المخلوقات تُقدس وتعترف بالتنزيه، فلا شك أن أهل السماء مطبقون على تنزيهه تعالى، كما أنه لا شك أن في أهل الأرض من لم يُنَزَّه، وجعل له ندا، ووصفهما لا يليق بجلاله، فيكون تخصيص السماء بذكر التقديس فيها لانفراد أهلها بالإطباق على التنزيه، كما أنه سبحانه لما انفرد في الملك في يوم الدين عمن يُتوهم ملكه خصَّصه بقوله تعالى: (مالك يوم الدين)، وكما قال سبحانه وتعالى بعد دمار من ادعاه الملك والمَلِك: (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) وأعاد هذا المدعي الحديث من أوله، ووصل إلى أن قال: فليقل ربنا الذي في السماء. قال: وذكره ووقف على قوله "في السماء" فليت شعري هل يجوز أحد من العلماء أن يفعل

⁴¹ لم يأتي ذكر الله تعالى في هذا الحديث مطلقاً كما هو واضح بل هو بمجرد فهم الشيخ تقي الدين ابن تيمية لذلك. فاستدل به هذا الحديث من باب إيراد الأدلة في غير موردها.

مثل هذا؟ وهل هذا إلا مجرد إيهام أن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم قال: "ربنا الله الذي في السماء"⁴²

وأما حديث الأوعال، وما فيه من قوله: "والعرش فوق ذلك كله، والله فوق ذلك كله" فهذا الحديث قد كثر منهم إيهام العوام أنهم يقولون به، ويروجون به زخارفهم ولا يتركون دعوى من دعاويهم عاطلة من التحليل هذا الحديث ونحن نبين أنهم لم يقولوا بحرف واحد منه ولا استقر لهم قدم بأن الله تعالى فوق العرش حقيقة، بل نقضوا ذلك، وإيضاح ذلك بتقديم ما آخر هذا المدعي، قال في آخر كلامه ولا يظن الظان أن هذا يخالف ظاهر قوله تعالى "وهو معكم أينما كنتم" وقول النبي صلى الله عليه وسلم وإذا قام أحدكم للصلاة فإن الله قبل وجهه " ونحو ذلك، قال: فإن هذا غلط ظاهر، وذلك أن الله تعالى معنا حقيقة، وفوق العرش حقيقة، قال: كما جمع الله بينهما في قوله: "هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير" قال هذا المدعي بملء ما ضغتيه من غير تكتم ولا تلثم: فقد أخبر الله تعالى أنه فوق العرش، ويعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث الأوعال: "والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه" فقد فهمت أن هذا المدعي ادعى أن الله فوق العرش حقيقة، واستدل بقوله تعالى: "ثم استوى على العرش"، وجعل ذلك من الله تعالى: خبر أنه فوق العرش، وقد علم كل ذي ذهن قويم وفكر مستقيم، أن لفظ "واستوى على العرش" ليس مرادفاً للفظ "فوق العرش" حقيقة، وقد سبق منا الكلام عليه، ولا في الآية ما يدل على الجمع الذي ادعاه، ولا بين التقريب في الاستدلال، بل سرد آية

⁴² وهذا الذي فعله الشيخ تقي الدين ابن تيمية إيهام للقارئ واستخفاف بالسائل! إذ كيف يستدل على الجهة بمثل هذا الحديث الذي ليس فيه إلا أن أهل السماء يقدسون اسم الله جل جلاله. ثم يتر الحديث ويوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ربنا الله الذي في السماء!! ووقف على كلمة السماء. مع أن اللفظ (في السماء تقدس اسمك)). فكون اسم الله مقدس في السماء لا شك فيه والملائكة لا يفترون عن ذلك وأما أن في الحديث أي دليل على إثبات حلول الله في الجهة فلا يوجد أبداً.

من كتاب الله تعالى لا يدري هل حفظها أو نقلها من المصحف، ثم شبه الآية في الدلالة على الجمع بحديث الأوعال، (قال) كما قال عليه الصلاة والسلام: والله فوق العرش " وقد علمت أنه ليس في الحديث ما يدل على المعية، بل لا مدخل لمَعَ في الحديث، قال: وذلك أن " مع " إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلا للمقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة ولا محاذاة عن يمين أو شمال، فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا والنجم معنا. ويقال: هذا المتاع معنا. وهو لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، وإنما الله مع خلقه حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلما قال: " يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير " دل ظاهر الخطاب على أن حكم المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم عالم بكم. وقال: وهذا معنى قول السلف: إنه معهم بعلمه. وقال: وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته.!

قال: وكذلك في قوله تعالى: " ما يكون من نجوى ثلاثة " الآية، وفي قوله تعالى: " لا تحزن إن الله معنا "، " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "، "إني معكما أسمع و أرى " . قال: ويقول أبو الصبي له من فوق السقف: لا تخف، أنا معك. تنبيهاً على المعية الموجبة لحكم الحال.!

فليفهم الناظر أدب هذا المدعي في هذا المثل وحسن ألفاظه في استثمار مقاصده.⁴³

⁴³ أي أن ابن تيمية جعل الله فوق العرش كما أن والد الصبي فوق السقف. ! وهذا تشبيه يدل على ما كان يتصوره في الله جل جلاله. !

مع أن وجود الوالد مع ولده ماهو إلا وجود مخلوق متحيز يقابل مخلوق متحيز وهي معية حسية. فشبه السقف للوالد كالعرش للرحمن وشبه نصرة الرحمن لعباده كنصرة الوالد لولده. فإذا كان الوالد في مكان فوق السقف فالله كذلك في مكان فوق العرش. !! وإذا كان الوالد يطمئن ولده بأنه معه بالنصرة فالله يطمئن عباده بأنه معهم بالنصرة. !! فاشترك الوالد والخالق في التحيز مع النصرة. فالله فوق سقف يسمى العرش، والوالد فوق سقف آخر. ! وهذا هو سوء الأدب الذي أشار إليه الإمام ابن جهيل.

ثم قال: ففرق بين المعية وبينمقتضاها، المفهوم من معناها، الذي يختلف باختلاف المواضع!.
فليفهم الناظر هذالعبارة التي ليست بالعربية ولا بالعجمية، فسبحان المسبح باللغات المختلفة.⁴⁴

قال: فلفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع، يقتضي في كل موضعاً مورياً لا يقتضيها في الموضع الآخر.⁴⁵ هذه عبارته بحروفها.

ثم قال: فإما أن نتختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردنا وإن امتاز كل موضع بخاصية!!
فليفهم تقسيم هذا المدعى وحسن تصرفه.

قال: فعلى التقديرين ليسمقتضاها أن تكون ذات الرب مختلطة بالخلق، حتى يقال صرفت عن ظاهرها.

ثم قال في موضع آخر: من علم أن المعية تضاف إلى كل نوع من أنواع المخلوقات، كإضافة الربوبية مثلاً وأن الاستواء على العرش ليس إلا العرش وأن الله تعالى يوصف بالعلو والفوقية الحقيقية ولا يوصف بالسفول ولا بالتحتية قط، لا حقيقة ولا مجازاً، علم أن القرآن على ما هو عليه من غير تحريف. فليفهم الناظر هذه المقدمات القطعية، وهذه العبارات الرائقة الجليلة، وحصص الاستواء علماً لشيء في العرش مما لا يقوله عاقل فضلاً عن جاهل.

⁴⁴ يشير الإمام ابن جهبل إلى أن الألفاظ قوالب المعاني ولذا فلا وجه لتفريق ابن تيمية بين اللفظ ومقتضاه. لأن اللفظ لا يتجرد عن المعنى، سواء علمنا المعنى أو جهلناه. فكان تفريقه بين اللفظ ومقتضاه مجرد تشقيق لا ينطلي إلا على العوام.

⁴⁵ الأصل في الكلام الحقيقة فإذا صرف عن الحقيقة فإنما صرف باعتبار القرائن اللفظية أو العقلية وهو حينئذ يسمى المجاز. فكلام ابن تيمية يلزم منه وجود قرائن حمل عليها المعنى، وعلى هذا فهو مجازي لا حقيقة. فدعواه أن ذلك كله على الحقيقة في اللغة مكابرة يخالف بها فحول أهل اللغة.

ثم قال: من توهم أن كون الله في السماء، بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في ربه، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً نقله عن أحد.⁴⁶

فليستفد الناظر أن الفهم يسمع.!

قال: ولو سُئل سائر المسلمين: هل يفهمون منقول الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى في السماء تحويه، لبادر كالأحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمنا لتكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأوله.

قال: بل عند المسلمين أن الله في السماء، وهو على العرش واحد، إذ السماء يراد بها العلو، فالمعنى: الله في العلو لا في السفلى. هكذا قال هذا المدعي فليثنا الناظر على هذه بالخصر، وليعض عليها بالنواجذ، وليعلم أن القوم (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قال: وقد علم المسلمون أن كرسیه تعالى وسع السموات والأرض، وإن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله تعالى، لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته، وكيف يتوهم متوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره ويحويه، وقد قال تعالى: (و لأصلبنكم في جذوع

⁴⁶ من ادعى أن حرف (في) لا يفيد الظرفية المكانية فقد أبعد النجعة. فماذا تفهم من قول العرب (في البيت فرش) وقولهم (في المسجد رجال) الطير في أعشاشها. والملائكة في السماء. والسماك في البحر. وغيرها كثير. فلماذا يستبعد ابن تيمية أن يفهم أحد من العرب حسب مقتضيات اللغة وجود الله في السماء بحسب الحقيقة اللغوية. بل ماذا يفهم العربي ممن يدعي أن الله حال في العرش وينزل إلى السماء الدنيا ويخلو منه العرش. فوالله لا يفهم من ذلك بحسب اللغة العربية إلا أن الله سبحانه وتعالى داخل في العرش ثم يخلو منه العرش في زمن معين وهو ثلث الليل الآخر ثم ينزل إلى السماء السفلى المحاذية للأرض. وبه تعلم الدعاوى العريضة التي يريد ابن تيمية بها إلغاء عقول الناس وإلغاء مدلولات اللغة العربية على الحقيقة اللغوية التي يدندن حولها دائماً.

النخل) وقال تعالى(فسيروا في الأرض) بمعنى " على " ونحو ذلك، وهو كلام عربي لا مجاز، وهذا يعلمهم عرف حقائق معنى الحروف، وأنها متواطئة في الغالب. ! هذا آخر ما تمسك به.

فنقول: أولاً ما معنى قولك: إن "مع" في اللغة للمقارنة المطلقة من غير مضافة ولا محاذاة؟! وما هي المقارنة؟! فإن لم يفهم من المقارنة غير صفة لازمة للجسمية، حصل المقصود، وإن فهم غيره فليتنبه حتى ننظر هل تفهم العرب من المقارنة ذلك أولاً.⁴⁷

ثم قوله: فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى.

فنقول له: ومن نحا ذلك في ذلك؟

قوله: إنها في هذه المواضع كلها بمعنى العلم. قلنا: من أين لك هذا؟ فإن قال: من جهة قوله تعالى: " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم " الآية، دل ذلك على المعية بالعلم، وأنه على سبيل الحقيقة: فنقول له: قد كلت بالصاع الوافي فكل لنا بمثله، واعلم أن "فوق" كما يستعمل في العلو في الجهة كذلك يستعمل في العلو في المرتبة والسلطنة والملك، وكذلك الاستواء، فيكونان متواطئين، كما ذكرته حرفاً بحرف، وقد قال الله تعالى " وهو القاهر فوق عباده " ، وقال تعالى " وفوق كل ذي علم عليم " ، وقال الله تعالى " يد الله فوق أيديهم " وقالتعالى حكاية عن قوم فرعون: " و إنا فوقهم قاهرون " وقال تعالى " ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات " ، ومعلوم أنه ليس المراد جهة العلو، فأعد البحث وقل: فوق العرش بالاستيلاء. وكذا في حديث الأوعال، وما فعلته في " مع " فافعله في "فوق" وخرج هذا كما خرجت ذلك، وإلا اترك الجميع.⁴⁸

⁴⁷ أي بالوضع الأول وهو الحقيقة ومعلوم أن المعية بحسب الوضع الأول وهو الحقيقة لا يفهم منه إلا المعية الحسية، وأما معية النصورة والمراقبة ونحو ذلك فلا تفهم إلا بالقرائن الصارفة عن الحقيقة اللغوية وهذا ما يسمى بالمجاز وليس الحقيقة.

⁴⁸ أي إذا أولت المعية في ما يوهم حلول الله في مخلوقاته الأرضية بأنها معية معنوية لا حسية، فذلك وعلى نفس النمط يلزم أن تأول الاستواء والعلو بما أفادته الآيات من أنه علو قدر وغلبة لا علو حسي مكاني.

ثم قوله: ومن علم أن المعية تضاف إلى كلنوع من أنواع المخلوقات، وأن الاستواء على الشيء ليس إلا العرش، قلنا: حتى نبصر لكرجلاً استعمالها يعلم ما تقوله من غير دليل، فإنك إن لم تقم دلالة على ذلك وإلا أبرزت لفظة تدل على تحتم " فوق " للاستواء في جهة العلو، فليت شعري من أين تعلم أن المعية بالعلم حقيقة، وأن آية الاستواء على العرش وحديث الأوعال دالان على صفة الربوبية بالفوقية الحقيقية اللهم غفرأ، هذا لا يكون إلا بالكشف، وإلا فالأدلة التي نصبها الله تعالى لتعرف بها ذاته وصفاته وشرائعه لم يورد هذا المدعى منها حرفاً على وفق دعوى، ولا تثبت له قدم إلا في مهوى.⁴⁹

ثم قوله: لا يوصف الله بالسفول والتحتية، لا حقيقة ولا مجازاً!!

ليت شعري! من ادعى له هذه الدعوى حتى كلف الكلام فيها؟!

ثم إن قوله بعد ذلك: من توهم كون الله تعالى في السماء بمعنى أن السماء تحيط به وتحويه فهو كاذب إن نقله عن غيره وضال إن اعتقده في ربه. أيها المدعي، قل ما تفهم، وافهم ما تقول، وكلم الناس كلام عاقل لعاقل، تفيد وتستفيد، إذا طلبت أن تستنبط من لفظة " في " الجهة، وحملتها على حقيقتها هل يفهم منها غير الظرفية، أو ما في معناها؟ وإذا كان كذلك فهل يفهم عاقل أن الظرف ينفك عن إحاطة ببعض أو جميع أو ما يلزم ذلك؟ وهل جرى هذا على سمع؟ وهل من يخاطر أن " في " على حقيقتها في جهة، ولا يفهم منها احتواء ولا إحاطة ببعض ولا

فالدافع في المرين واحد وهو ان الله لا يحل في مخلوق وليس بمجسم. وعند ذلك يستوى الكيل وإلا كان كيل بمكيالين حسب ما يمليه الهوى.

⁴⁹ أي دعواه عدم وجود أي معنى للاستواء والعلو إلا حلول الله في الجهة دعوى عارية عن الدليل. بل هي محتملة لمعنيين:

معنى حسي وهو الحلول في الجهة. ومعنى معنوي وهو علو القهر والغلبة ونحو ذلك فحملها على المعنى الثاني هو المتعين لأن المعنى الأول لا يليق بالله تعالى. فكان حملها على المعاني التي تفيد العلو المعنوي هو الواجب لاستحالة الجمع بين المعنيين في حق الله تعالى.

كل؟ فإذا كان المراد أن يعزل الناس عقولهم، وتتكلم أنت وهم يقلّدون ويصدّقون، لم تأمن أن بعض المسؤولين المخالفين للملة يأمر بك بذلك ويثبت الباطل عليك.

ثم قولك: لو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قوله تعالى وقول رسوله أن الله في السماء تحويه، لبادر كل واحد منهم إلى أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا. فنقول: مالذي أردت بذلك؟ إن أردت أن هذا اللفظ لا يعطي هذا المعنى فإياك أن تسأل عن هذا من هو عارف بكلام العرب، فإنه لا يصدقك في أن هذا اللفظ لا يعطي هذا، مع كون "في" للظرفية وأنحاء على حقيقتها في الجهة.

وإن أردت أن العقول تأبى ذلك في حق الله تعالى، فلسنا نخضعك إلا في تقرير هذا ونفي كل ما يوهم نقصاً في حق الله تعالى.

ثم قولك: عند المسلمين أن الله في السماء وهو على العرش واحد. لا ينبغي أن تضيف هذا الكلام إلا إلى نفسك، أو إلى من تلقيت هذه الوصمة منه، ولا تجعل المسلمين يرتبكون في هذا الكلام الذي لا يعقل.

ثم استدلت على أن كون الله في السماء والعرش واحداً بأن السماء إنما يراد بها العلو، فالمعنى: أن الله في العلو لا في السفلى، قل لي: هل قال الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم أجمعين: إن الله تعالى في العلو لا في السفلى؟⁵⁰ وكل ما قلت من أول المقدمة إلى آخرها، لم سلم لك لكان حاصله أن الله تعالى وصف نفسه بأنه استوى على العرش وأن الله تعالى فوق العرش. أما أن السماء المراد بها العلو فما ظفرت كفاك بنقله.

ثم قولك: قد علم المسلمون أن كرسیه تعالوسع السموات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة بأرض فلاة، فليت شعري، إذا كان حديث الأوعال يدل على أن الله فوق

⁵⁰ أي هل قالوا بالحلول في مكان سواء كان في العلو أو السفلى؟. وهو يشير إلى ادعاء ابن تيمية الذي

ادعاه في مقدمة رسالته ثم لم يلتزم به فخالف المهاجرون والأنصار وغيرهم.

العرش فكيف يجمع بينه وبين طلوع الملائكة إلى السماء التي فيها الله؟ وكيف يكون مع ذلك في السماء حقيقة؟ ولعلك تقول: إن المراد بهما جهة العلو توفيقاً، فليت شعري أيمكن أن تقول بعد هذا التوفيق العارمين التوقيف والتوفيق إن الله في السماء حقيقة وعلى السماء حقيقة وفي العرش حقيقة وعلى العرش حقيقة؟ ثم حقيقة السماء هي هذه المشاهد المحسوسة يطلق عليها هذا الاسم لم يخطر بباله السمو، وأما أصل الاشتقاق فذلك لا مزية لها فيه على السقف والسحاب فتبارك الله تعالى خالق العقول⁵¹.

ثم قولك بعد ذلك: العرش من مخلوقات الله تعالى، لا نسبة له إلا قدرة الله وعظمته وقع إلينا " إلا قدرة الله " فإن كانت بألف لام ألف، كما وقع إلينا فقد نفيت العرش وجعلت الجهة هي العظمة والقدرة، وصار معنى كلامك: جهة الله عظمته وقدرته، والآن قلت مالا يفهم ولا قالها أحد.

وإن كان كلامك بألف لام ياء، فقد صدقت وقلت الحق ومن قال خلاف ذلك؟! ولعمري لقد رمنا لك هذا المكان ولقناك إصلاحه.

ثم قلت: كيف يتوهم بعد هذا أن خلقاً يحصره أو يحويه، قلنا: نعم، ومن أي شيء بلاؤنا إلا ممن يدعى الحصر أو يوهمه!

⁵¹ فالسماء عند الإطلاق لا يفهم منها إلا التي زينها الله بالكواكب والنجوم، ولا يخطر ببال الناس أن المعنى هو الاعتلاء على العرش. ثم من حيث الاشتقاق تشترك في كونها عالية علواً حسيّاً فالسماء هي كالسحاب وكالسقف في كونها عالية على من تحتها فحتى على القول بالاشتقاق فكيف يفهم مباشرة أن المقصود هو العلو على العرش دون بقية المعاني. فتأمل كيف يجعل ابن تيمية المعنى الحقيقي وهي السماء التي يعرفها كل الناس هو المعنى الذي لا يخطر ببال أحد، ثم يلجأ إلى معنى يستفاد بالاشتقاق وهو السمو! ثم يلغي سمو كل ما يحتمله الاشتقاق من سحاب وسقف وسماء ولا يبقى إلا العرش. ثم يزعم أن ذلك لا يفهم الناس سواه. فأبيحكم فوق هذا؟!

ثم قلت: وقد قال الله تعالى: " ولأصلبّنكم في جذوع النخل " أو ما علمتأن تتمكن الاستقراري حاصل في الجذع، فإن تمكن المصلوب في الجذع كتمكن الكائن فيالظرف، وكذلك الحكم في قوله تعالى: " قل سيروا في الأرض " ⁵² وهذا الذي ذكرناه هوالجواب عن حديث الأوعال، ⁵³ وحديث قبض الروح، وحديث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، ⁵⁴.

وحديث أمية بن أبي الصلت، وما قال من قوله:

مجدوا الله فهو أهل لمجدربنا في السماء أمسى كبيراً ⁵⁵

فيقال للمدعي: إن كنت ترويّه " في السماء " فقط، ولا تتبعها " أمسى كبيراً " فرمما يوهّم ما تدعيه، لكن لا يبقى شعراً ولا قافية، وإن كان قال: " ربنا في السماء أمسى كبيراً " فقل مثل ما قال أمية، فعند ذلك لايدري: هل هو كما قلت: أو قال: إن الله كبير في السماء.

فإن قلت: وهو كبير في الأرض فلم خصت السماء؟

⁵² فالمصلوب على الجذع مماس للجذع متمكن فيه، وكذلك الحال في العرش متمكن فيه سواء كان عرشاً مجوفاً أو سطحاً غير مجوف فالجامع هو المكانية الحسية. سواء كان ذلك الظرف المكاني هو جذع نخل، أو سير في مكان يسمى الأرض أو داخل الكهوف أو على السقوف. فكلها أمكنة. فما فر منه ابن تيمية وهو تنزيه الله عن المكان وقع فيه فأثبت حلول الله في مكان آخر. فلم يستفد من هروبه شيئاً.

⁵³ وهو حديث ضعيف ضعفه الإمام البخاري وغيره. وابن خزيمة لم ينص على تصحيح هذا الحديث بعينه فكلام ابن خزيمة في تصحيح ما أورده في كتاب له هو حكم أغلبي لا كلي ولذا فهذا الحديث ضعيف نص الأئمة الحفاظ على ضعفه. فلا يعارض بكلام عام لابن خزيمة رحمه الله.

⁵⁴ وهو قصة تخلصه من زوجته وبه جنابة لجامعه إحدى جواريه، فتخلص من زوجته بأبيات من الشعر قال إنها من القرآن الكريم والجنب لا يقرأ القرآن فصدقته. وهذا كفر لا يمكن أن يفعله صحابي جليل كعبدالله بن رواحة رضي الله عنه. فالحديث موضوع علم ذلك من سنده ومتنه.

⁵⁵ هذا البيت لايفهم منه أن الله في الجهة وهو من مجازفات الشيخ تقي الدين ابن تيمية في الاستدلال. ولا شك ولا ريب في أن قدر الكبير عند أهل السماء. فأى شيء فيه يفيد الحلول في الجهة؟!

قلنا: التخصيص بما أشرنا إليه من أن تعظيم أهلالسماوات أكثر من تعظيم أهل الأرض له، فليس في الملائكة من ينحت حجراً ويعبد، ولا فيهم دهري ولا معطل ولا مشبه. وخطاب أمية لكفار العرب الذين اتخذوا هبل ومناةواللات والعزى وغير ذلك من الأنداد، وقد علمت العرب أن أهل السماء أعلم منهم، حتكانوا يتمسكون بحديث الكاهن الذي كان يتلقف من الجني الذي يسترق الكلمة من الملك، فيضيف إليها مائة كذبة، فكيف اعتقادهم في الملائكة!! فلذلك احتج عليهم أمية بالملائكة، هذا ليس ببعيد ولا خلافه قطعي.

ثم قال: من المعلوم بالضرورة⁵⁶ أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله تعالى على العرش وأنه فوقالسماء، فنقول له: هذا ليس بصحيح بالصریح، بل ألقى إليهم أن الله استوى علىالعرش، هذا الذي تواتر من تبليغ هذا النبي صلى الله عليه وسلم وما ذكره المدعي منهذا الإخبار، فأخبار آحاد لا يصدق عليها جمع كثرة ولا حجة له فيها،⁵⁷ وذلك واضح لمنسمع كلام الرسول عليه الصلاة والسلام ونزله على استعمال العرب وإطلاقاتها، ولميدخل عليها غير لغتها.

ثم قلت: كما فطر الله جميع الأمم عربهم وعجمهم فيالجاهلية والإسلام إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته. هذا كلام من أوله إلى آخرهمعارض بالميل والترجيح معاً.

ثم قلت عن السلف في ذلك من الأقوال ما لوجعته لبلغت مائتين ألفاً. فنقول: إن أردت بالسلف سلف المشبهة كما سيأتي فيكلامك فرما قاربت، وإن أردت سلف الأمة الصالحين فلا حرفاً ولا شطر حرف، وها نحنمك في مقام مقام ومضمار مضمار بحول الله وقوته.

⁵⁶ أي أن ذلك من المتواتر في الثبوت ومن القطعي في الدلالة على ما يريد. !

⁵⁷ وهذا ينقض زعم ابن تيمية من كونه معلوماً بالضرورة. فإنها من قسم الآحاد عند الأصوليين وليس من المتواتر ثم إنها لا حجة فيها لأنها غير قطعية الدلالة ولا حتى ظاهرة الدلالة على ما يريد حسب لغة العرب في استعمال الألفاظ.

ثم قلت: ليس في كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من الصحابة ولا من التابعين، حرف واحد يخالف ذلك، ولا نص ولا ظاهر. قلنا: ولا عنهم، كما ادعيت أنت، ولا نص ولا ظاهر، وقد صدرت أولاً أنك تقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم دارت الدائرة على أن المراد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار مشايخ عقيدتك، وعزلت العشيرة وأهل بدر والحديبية عن السبق، والتابعين عن المتابعة وتولي هؤلاء لا غير (الله أعلم حيث يجعل رسالاته)

ثم قولك: لم يقل أحد منهم: إنه ليس في غير السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه في كل الأمكنة بنسبة إليه سواء، ولا إنه داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل ولا منفصل. قلنا لقد عممت الدعوى، فذكرت ما لم تحط به علماً، وقد ذكرنا لك عن جعفر الصادق والجنييد والشبلي وجعفر بن النضير، وأبي عثمان المغربي، رضي الله عنهم، ما فيه كفاية، فإن طعنت في نقلها، أو في هؤلاء السادة، طعنا في نقلك، وفي من أسندت إليه من أهل عقيدتك خاصة، فلم يوافقك على ما ادعيتهم غيرهم.

ثم إنك أنت الذي قد قلت ما لم يقله الله، ولا رسوله، ولا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولا من التابعين، ولا من مشايخ الأمة الذين لم يدركوا الأهواء فما نطق أحد منهم بحرف في أن الله في جهة العلو، وقد قلت وصرحت وبجئت وفهمت بأن ما ورد من أنه في السماء، وفوق السماء، وفي العرش، وفوق العرش، المراد به جهة العلو، فقل لنا: من قال هذا؟ هل قال الله، أو رسوله، أو السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، أو التابعين لهم بإحسان؟! فلم يهول علينا بالأمر المغممة، وبالله المستعان.

ثم استدل على جواز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها، بما صح أنه صلى الله عليه وسلم في خطبة عرفات جعل يقول: "ألا هل بلغت؟" فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء وينكتها إليهم، ويقول: "اللهم اشهد" غير مرة. ومن أي دلالة يدل هذا على جواز الإشارة إليه؟ هل صدر منه صلى الله عليه وسلم إلا أنه رفع إصبعه ثم نكتها إليهم؟ هل في ذلك دلالة على أن رفعه

كان يشير إلى جهة الله تعالى. ولكن هذا من عظيم ما رسخ في ذهن هذا المدعى من حديث الجهة، حتى إنه لو سمع مسألة من عويص الفرائض والوصايا وأحكام الحيز، لقال: هذه دالة على الجهة.⁵⁸

ثم أتى بالطامة الكبرى والداهية الدهياء، وقال: فإن كان الحق ما يقوله هؤلاء السابقون النافون، من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة إما نصاً أو ظاهراً، كيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم على خير الأمة: أنهم يتكلمون دائماً هو نص أو ظاهر في خلاف الحق، ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبيحون به قط ولا يدلون عليه؛ لا نصاً ولا ظاهراً، حتى يجيء أبناء الفرس والروم وأفراخ الهنوديين للأمة العقيدة الصحيحة، التي يجب على كل مؤلف أو فاضل أن يعتقدها، لأن كانوا يقولون هؤلاء (المتكلمون) المتكلفون، من الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا لمقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة، نصاً أو ظاهراً، لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدي لهم وأنفع على هذا التقرير، بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً، محضاً في أصول الدين، فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء: أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله سبحانه وتعالى وما يستحق من الصفات نفيّاً ولا إثباتاً لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه بها.

ثم قال: هما فريقان أكثرهم يقول: ما لم تثبت عقولكم فانفوه ومنهم من يقول: بل توقفوا فيه. وما نفاه قياس عقولكم الذي أنتم فيهم مختلفون ومضطربون اختلافاً أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض فانفوه، وإليه عند الشارع فارجعوا، فإنه الحق الذي تعبدتكم به، وما كان مذكوراً في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا أو يثبت ما لم تدركه عقولكم، على طريقة أكثرهم، فاعلموا أني امتحنتكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا في تخرجه على شواذ

⁵⁸ قد مر كثير من الشواهد التي تدل على استدلال ابن تيمية بما لا علاقة له بالجهة لا من قريب ولا من بعيد.

اللغة ووحشي الألفاظ وغرائب الكلام أو تسكتوا عنه مفوضين علمه إلي. هذا حقيقة الأمر
على رأي المتكلمين.

هذا ما قاله وهو الموضع الذي صرع فيه وتخططه الشيطان منالمس، فنقول له: ما تقول فيما ذكر
العيون بصفة الجمع، وذكر الجنب وذكر الساق الواحدة وذكر الأيدي؟ فإن أخذنا بظاهر هذا
يلزمنا إثبات شخص له وجه واحد عليه عيون كثيرة، وله جنب واحد وعليه أيد كثيرة، وله ساق
واحدة، فأى شخص يكون في الدنيا أبشع من هذا، وإن تصرف في هذا بجمع وتفريق بالتأويل
فلم لا ذكره الله ورسوله وسلف الأمة؟

وقوله تعالى في الكتاب العزيز: " الله نور السموات والأرض " فكل عاقل يعلم أن النور الذي
على الحيطان والسقوف وفي الطرق والحشوش ليس هو الله تعالى، ولا قالت المجوس بذلك فإن
قلت بأنه هادي السموات والأرض ومنورها، فلم لا قاله الله تعالى ولا رسوله ولا سلف الأمة؟
وورد قوله تعالى: " ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " وذلك يقضي بأن يكون الله داخل الزردمة،
فلم لا بينه الله ولا رسوله عليه الصلاة والسلام ولا سلف الأمة؟

وقال تعالى: " واسجد واقترب " ومعلوم أن التقرب في الجهة ليس إلا بالمسافة، فلم لا بينه الله
ولا رسوله ولا سلف الأمة؟

وقال تعالى: " فأينما تولوا فثم وجه الله "، وقال تعالى: " وجاء ربك "، وقال تعالى: " فأتى الله
بنياهم من القواعد "، وقال تعالى: " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث " .
وقال عليه الصلاة والسلام حكاية عن ربه عز وجل: " من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً
ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً ومنأتاني يمشي أتيته هرولة " وما صح في الحديث: " أجد
نفس الرحمن من قبل اليمن " ومنقوله صلى الله عليه وسلم: " الحجر الأسود يمين الله في الأرض
" ومن قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه سبحانه وتعالى: " أنا جليس من ذكرني " .

وكل هذه هل تأمن من المجسم أن يقول لك: ظواهر هذه كثرة تفوت الحصر أضعاف أحاديث
الجهة، فإن كان الأمر كما يقول في نفي الجسمية مع أنه لم يأت في شيء من هذه ما يبين

خلافواهرها، لا عن الله تعالى، ولا عن رسوله عليه الصلاة والسلام ولا عن سلف الأمة فحينئذ يكيل لك المجسم بصاعك، ويقول لك: لو كان الأمر كما قلت، لكان الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم.

وإن قلت: إن العمومات قد بينت خلاف ظواهر هذه، لمنجد منها نافياً للجسمية إلا وهو ناف للجهة.⁵⁹ ثم ما يؤمنك من تناسخي يفهم من قوله تعالى: " في أي صورة ما شاء ركبك " مذهبه⁶⁰، ومن معطل يفهم من قوله: " مما تنبت الأرض " مراده،⁶¹ فحينئذ لا تجد مساعاً لما تغص به من ذلك؛ إلا الأدلة الخارجة عن هذه الألفاظ. ثم صار حاصل كلامك أن مقالة الشافعية والحنفية والمالكية،⁶² يلزمها أن يكون ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم، أفتراهم يكفرونك بذلك أم لا؟

ثم جعلت أن مقتضى كلام المتكلمين، أن الله تعالى ورسوله وسلف الأمة تركوا العقيدة حتى بينها هؤلاء، فقل لنا: إن الله تعالى ورسوله وسلف الأمة بينها، ثمانقل عنهم أنهم قالوا كما تقول: إن الله تعالى في جهة العلو لا في جهة السفلى.⁶³ وإنا لإشارة الحسية جائزة إليه، فإن لم تجد ذلك في كتاب الله تعالى ولا كلام رسوله عليها الصلاة والسلام ولا كلام أحد من العشرة ولا كلام أحد

⁵⁹ فجميع الدلائل التي يستدل بها على نفي الجسمية والحلول في المخلوقات يستدل بها وبنحوها على نفي الجهة. وقد كتبت رسالة في اتباع المتشابه عند القدرية والحلولية والجهوية من قرأها علم يقيناً ما أشار إليه الإمام ابن جهيل رحمه الله تعالى.

⁶⁰ وهي مسألة أن المخلوق نسخة من مخلوق سابق وهو ما يسمى تناسخ الأرواح والصور. وقد رأيت قديماً كتاباً للدكتور مصطفى محمود ينضح بهذا الكفر ولعله كتبه قبل أن يتوب.

⁶¹ وهو أن الأرض هي التي تخلق ذلك بقوة مودعة فيها ولا يستقل الله تعالى بذلك.

⁶² فالحنفية ماتردية والجمهور أشاعرة. مع العلم أن ابن تيمية ينتقد المفوضة ومعلوم أن أكثر الحنابلة مفوضة.

⁶³ فهو مطالب بأمرين: الأول: إثبات البيان التفصيلي عنهم. والثاني: إثبات أنهم قالوا في ذلك البيان بحلول الله في الجهة. ومعلوم أن ذلك لم يحصل.

من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فعد على نفسك بلائمة وقل: لقد ألزمت القوم بما لا يلزمهم، ولو لزمهم لكان عليك اللوم. ثم قلت عن المتكلمين: إنهم يقولون: ما يكون على وفق قياس العقول فقولوه وإلا فانفوه. والقوم لم يقولوا ذلك، بل قالوا: صفة الكمال يجب ثبوتها لله، وصفة النقص يجب نفيها عنه. كما قالها الإمام أحمد رضي الله عنه، وقالوا: وما ورد من الله تعالى ومن رسوله فليعرض عليلة العرب، التي أرسل الله تعالى محمداً بلغتها كما قال تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه " فما فهمت العرب فافهمه ومن جاءك بما يخالفه فانبد كلامه نبذ الحذاء المرقع، واضرب بقوله حائط الحش.

ثم نعقد فصلاً إن شاء الله تعالى بعد إفساد ما نزع به، في سبب ورود هذه الآيات على هذا الوجه، فإنه إنما تلقفما نزع به في مخالفة الجماعة، وأساء القول على الملة من حثالة الملاحدة الطاعنين في القرآن وسننهم إن شاء الله تعالى ضلالهم، ويعلم إذ ذلك من هو من فراخ الفلاسفة والهنود، ثم لو استحي الغافل لعرف مقدار علماء الأمة رحمهم الله تعالى، ثم هل رأى من رد على الفلاسفة والهنود والروم والفرس غير هؤلاء الذين جعلهم فراخهم، وهلاتكلوا في الرد على هذه الطوائف على قوم لا عقل لهم ولا بصيرة ولا إدراك، ثم يذرونهم يستدلون على إثبات الله تعالى في الحجاج على منكره بالنقل، وعلى منكري النبوة بالنقل حتى يصير مضغة للماضغ، وضحكة للمستهزئ وشماتة للعدو وفرحاً للحسود وفي قصة الحسن بن زياد اللؤلؤي عبرة للمعتبر. ثم أخذ بعد هذا في أن الأمور العامة إذا نفيت عنها إنما يكون دلالتها على سبيل الإلغاز. قلنا: وكذلك المجسم يقول لك: دلالة الأمور العامة على نفي الجسمية إلغاز.⁶⁴

⁶⁴ الدلائل العامة كقوله تعالى ((ليس كمثله شيء وهو السميع العليم)) وقوله تعالى ((هل تعلم له سمياً)) وقوله ((ولم يكن له كفوا أحد))

فابن تيمية يعتبر الاستدلال بذلك على نفي حلول الله في الجهة من الإلغاز. رغم أن هذه الآيات هي نفسها التي يستدل بها أهل السنة على نفي التشبيه والجسمية ونحو ذلك.

ثم قال بعد هذا: يا سبحان الله، كيف لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً من الدهر ولا أحد منسلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه؟ فيقال له: ما الذي دلت عليه حتى تقولوا إنه لا يُعتقد؟ هذا تشنيع بحت.

ثم يقول لك المجسم: يا سبحان الله، لم لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد من سلف الأمة: إن الله تعالى ليس بجسم، ولا قالوا: لا تعتقدوا من الأحاديث الموهمة للجسمية ظواهرها؟⁶⁵

ثم استدل بقوله عليه الصلاة والسلام في صفة الفرقة الناجية: " هو من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي"، قال المدعى: فهل قال: من تمسك بظاهر القرآن في آيات الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى رجبكم إلى مقاييس عقولكم؟! فليعلم الناظر أنه هاهنا باهت و زخرف وتشبع بما لم يعطه، فإنه قد ثبت أن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عنهم: الكف عن ذلك، فمانحن الآمرون به، وأنه هو ليس بساكت، بل طريقه الكلام،⁶⁶ وأمر الدهماء بوصف الله تعالى بجهة العلو، وتجويز الإشارة الحسية إليه، فليت شعري، من الموافق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه! ولكن صدق القائل: رمتني بدائها وانسلت.

ثم المجسم يقول له، حذو النعل بالنعل ما قاله لنا، ونقول له: لم لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: الناجية من قال: إن الله في جهة العلو، وإن الإشارة الحسية إليه جائزة؟⁶⁷ فإن

⁶⁵ وكذا يقول الحلولي، وكذا يقول القديري في مسألة حدوث علم الله، وكذا يقول الخوارج في كفر مرتكب الكبائر. فكلهم يطالب بأخذ النصوص على ظاهرها.

⁶⁶ أي ان ابن تيمية لم يسكت كما فعل الصحابة بل هو قد خاض وتكلم. فلماذا يوهم أنه على طريق السلف؟!

⁶⁷ بل واين قال الله أو رسوله صلى الله عليه وسلم أن الله في جهة عدمية ! وأن الحوادث تحل بذاته العلية، وأن العالم قديم النوع، وأن النار تفتنى، ونحو ذلك مما ابتدعه الشيخ ابن تيمية؟! .

قال: هذه طريقة السلف وطريقة الصحابة قلنا: من أين لك هذا؟ ثم لا تأمن من كل مبتدع يدعي ذلك.⁶⁸

ثم أفاد المدعى وأسند أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود والمشركون وضلال الصابئين. قال: فإن أول من حفظ عنه هذه المقالة: الجعد بن درهم، وأخذها عنه جهم ابن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه، (قال): والجعد أخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت بن لبيد اليهودي الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وكان الجعد هذا فيما يقال من أهل حران.

فيقال له: أيها المدعي أن هذه المقالة مأخوذة من تلامذة اليهود، قد خالفت الضرورة في ذلك، فإنهما يخفى على جميع الخواص وكثير من العوام أن اليهود مجسمة مشبهة، فكيف يكون ضد التجسيم والتشبيه مأخوذاً عنهم؟⁶⁹ وأما المشركون فكانوا عبّاداًوثان، وقد بينت الأئمة أن عبادة الأصنام تلامذة المشبهة، وأن أصل عبادة الأصنام التشبيه، فكيف يكون نفيه مأخوذاً عنهم؟! وأما الصائبة فبلدهم معروف وإقليمهم مشهور وهل نحن منه أوصومنا؟ وأما كون الجعد ابن درهم من أهل حران فالنسبة صحيحة.

وترتيب هذا السند الذي ذكره سيسأله الله تعالى عنه والله من ورائه بالمرصاد. وليت لو اتبعه أن سند دعواه وعقيدته أن فرعون ظن أن إله موسى في السماء!

ثم أضاف المقالة للبشر المريسي وذكر أن هذه التأويلات هي التي أبطلتها الأئمة، ورد بها على بشر وأنما ذكره الأستاذ أبو بكر ابن فورك والإمام فخر الدين الرازي، قدس الله روحهما هو ما ذكره بشر. وهذا بهرج لا يثبت على محك النظر القويم ولا معيار الفكر السليم فإنهم المحال أن

⁶⁸ أي أن كل مبتدع سيقول أن بدعته كان عليها الصحابة والسلف كما يفعل ابن تيمية تماماً.

⁶⁹ ومعلوم أن اليهود يدعون أن الله استلقى على العرش بعد أن خلق العالم. فكيف يدعي الشيخ تقي الدين ابن تيمية أنهم ينفون عن الله الجهة، وهذا واضح في أن هذه الحكاية مكذوبة وسندها ملفق ، والله أعلم بمن وضعها.

تنكر الأئمة على بشر أن يقول ما تقوله العرب وهذان الإمامان ما قالاً إلا ما قالت العرب، وما الإنكار على بشر إلا فيما يخالف فيه لغة العرب، وأن يقولنهما ما لم تقله. ثم أخذ بعد ذلك في تصديق عزوته إلى المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم. وشرع في النقل عنهم، فقال: قال الأوزاعي: كنا، والتابعون متوافرون نقول: إن الله - تعالى ذكره - فوق عرشه.

فنقول له: أول ما بدأت به الأوزاعي وطبقته من بعدهم، فأين السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؟ وأما قول الأوزاعي فأنت قد خالفته، ولم تقل به لأنك قلت: إن الله يسفوق عرشه. لأنك قررت أن العرش والسماء ليس المراد بهما إلا جهة العلو، وقلت: المراد من فوق عرشه والسماء ذلك، فقد خالفت قول الأوزاعي صريحاً مع أنك لم تقل قطما يفهم، فإن قررت أن السماء في العرش كحلقة ملقاة في فلاة فكيف تكون هي هو؟ ثم من أين لك صحة هذا النقل عن الأوزاعي؟

وبعد مسامحتك في كل ذلك، ما قال الأوزاعي: الله فوق العرش حقيقة، فمن أين لك هذه الزيادة؟⁷⁰ ونقل عن مالك بن أنس والثوري والليث والأوزاعي أنهم قالوا في أحاديث الصفات: أمروها كما جاءت. فيقال له: لم لا أمسكت على ما أمرت به الأئمة بل وصفت الله بجهة العلو، ولم يرد بذلك خبر، ولو بذلت قراب الأرض ذهباً على أن تسمعها من عالم رباني لم تفرح

⁷⁰ لأن الأوزاعي كلامه محتمل أن الله فوق عرشه فوقية قهر وغلبة أو فوقية حسية. فحملها على الفوقية المعنوية هو الواجب. فإذا أدخل ابن تيمية كلمة حقيقة فيما نقله عن الأوزاعي فيحتمل أنه حقيقة ثبوت ما ورد في النصوص فقط، ويحتمل أنه أراد حقيقة المعنى اللغوي لاحقيقة الثبوت فهذا باطل. فقد ثبت أن الله علواً معنوياً على جميع خلقه بما فيهم العرش وهذا نصدق ونؤمن به لأنه قد ثبت حقيقة لا كذباً، وأما تفسير هذا العلو بالعلو الحسي وهو الاستقرار والحلول فوق العرش حسب التفسير على الحقيقة في اللغة فهذا هو التجسيم.

فالإمام الأوزاعي وغيره من الأئمة يحمل قولهم على ما يليق بالله تعالى لا على ما يقتضي الحلول في الجهة.

بذلك، بل تصرفت ونقلت على ما خطر لك، وما أمرت ولا أقررت ولا امتثلت ما نقلته عن الأئمة.

وروي قول ربيعة ومالك: الاستواء غير مجهول. فليت شعري! من قال إنهم جهول بل أنت زعمت أنه لمعنى عينته وأردت أن تعزوه إلى الإمامين، ونحن لا نسمع.

ثم نقل عن مالك أنه قال للسائل: الإيمان به واجب. والسؤال عنه بدعة ومأراك إلا مبتدعاً. فأمر به فأخرج. فيقال له: ليت شعري! من امتثل منا قول مالك؟ هل امتثلناه نحن، حيث أمرنا بالإمساك وألجمنا العوام عن الخوض في ذلك أو الذي جعله دراسته. يلقيه، ويلفقه، ويلقنه، ويكتبه ويدرسه، ويأمر العوام بالخوض فيه؟ وهل أنكر على المستفتي في هذه المسألة بعينها، وأخرجه كما فعل مالك رضي الله عنه فيها بعينها؟ وعند ذلك يعلم أن ما نقله عن مالك حجة عليه لا له.

ثم نقل عن عبدالعزيز ابن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون، أنه قال وقد سئل عما جحدت به الجهمية: أما بعد، فقد فهمت فيما سألت فيما تسامعت الجهمية ومن خالفها في صفة الرب العظيم الذي فاقت عظمته الوصف والتقدير، وكلت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدرته، ردت عظمته العقول فلم تجد مساعاً فرجعت خاسئة وهي حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: "كيف لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو وكيف يعرف قدر من لم يبدأ ومن لا يموت ولا يبلى؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى يعرفه عارف، أو يحد قدره واصف؟ على أنه الحق المبين، لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه.

والدليل على عجز العقول عن تحقيق صفته عجزها عن تحقيق صفة أصغر خلقه، فلا تكاد تراه صغيراً يحول ويزول ولا يرى له سمع ولا بصر، بل ما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين وخالفهم وسيد السادات وربهم.

ثم نقل عنه الأحاديث الواردة في الصفات، وذكر قوله: " والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " قال: فوالله ما دلهم على عظيم ما وصف من نفسه وما تحيط به قبضته إلا صغر نظرها منهم عندهم أن ذلك الذي ألقى في روعهم وخلق على معرفة قلوبهم فما وصف من نفسه فسماه على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ما سواه لا هذا ولا هذا، لا نحدد ما وصف، ولا نتكلف معرفة ما لم يصف. وبسط الما جشون كلامه في تقرير هذا.

فنقول لهذا الحاكي: نعم الحجة أتيت بها، ولكن لنا، ونعم السلاح حملت، ولكن للعدى. أما كلام عبد العزيز رضى الله عنه، وما ذكر من كبرياء الله وعظمته، وأنها تحير العقول، وتشدد الفهوم، فهذا قالمالعلماء نظماً ونشراً، وأنت أزريت على سادات الأئمة وأعلام الأمة في ثاني صفحة نزغتها، حيث اعترفوا بالعجز والتقصير، ونعيت عليهم ذلك، وعددته عليهم ذنباً وأنتم معذورون، وجعلت قول عبد العزيز حجتك وقد ذكر في القبضة ما يقولها المتكلمون في كل موضع، وأمر عبد العزيز أن يصف الرب بما وصف به نفسه، وأن يسكتما وراء ذلك، وذلك قولنا وفعلنا وعقدنا وأنت وصفته بجهة العلو وما وصف بها نفسه وجوزت الإشارة الحسية إليه وما ذكرها ونحن أمرنا الصفات كما جاءت، وأنت جمعت بين العرش والسماء بجهة العلو، وقلت: في السماء حقيقة وفي العرش حقيقة فسبحان واهبالعقول، ولكن كان ذلك في الكتاب مستطوراً.

ثم ذكر عن محمد ابن الحسن اتفاق الفقهاء على وصف الرب بما جاء في القرآن وأحاديث الصفات.

فنقول له: نحن لا نترك من هذا حرفاً، وأنت قلت: أصف الرب تعالى بجهة العلو وأجوز الإشارة الحسية إليه، فأين هذا في القرآن وأخبار الثقة، ما أفدتنا في الفتيا من ذلك شيئاً.⁷¹

⁷¹ لأن الإشارة إلى السماء لا إلى الله جل جلاله، كما ان الإشارة بالأصبع في التشهد إلى القبلة لا تعني أن الله حل في جهة القبلة رغم حديث فإن الله قبل وجه المصلي. فيستحيل حمل النصوص على أن المشار إليه

فنقول له: الحمد لله، حصل المقصود ليت شعري! من فسر السماء والعرش وقال: معناهما جهة العلو، ومن ترك تفسيرهما وأمرهما كما جاء؟

ثم نقل عن ابن المبارك رضي الله عنه، أنه قال: يعرف ربنا بأنه فوق سمائه على عرشه، بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه هاهنا في الأرض.

فنقول له: قد نص عبد الله أنه فوق سمائه على عرشه، فهل قال عبد الله: إن السماء والعرش واحد، وهي جهة العلو؟

ونقل عن حماد ابن زياد أنه قال: هؤلاء الجهمية إنما يحاولوا أن يقولوا: ليس في السماء شيء. فنقول له أيضاً: أنت قلت بمقالتهم، فإنك صرحت بأن السماء ليس هي ذاتها بل المعنى الذي اشتقت منه وهو السمو وفسرته بجهة العلو فالأولى لك أن تنعى على نفسك مانعاه حماد على الجهمية.

ونقل عن ابن خزيمة أن من لم يقل إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى به أهل القبلة وأهل الذمة. فيقال له: الجواب عن مثل هذا قد تقدم، على أن ابن خزيمة قد علم الخاص والعام حديثه في العقائد والكتاب الذي صنفه في التشبيه وسماه بالتوحيد، ورد الأئمة عليه: أكثر من أن يذكر، وقولهم فيه ما قاله هو في غيره، معروف.⁷²

هو الله لا حلول في مخلوق يسمى الأرض ولا حلول في مخلوق يسمى السماء أو مخلوق يسمى العرش فالله منزّه عن الحلول مطلقاً.

⁷² قال الإمام البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال سمعت أبا الحسن علي بن أحمد الزاهد البوشنجي يقول: دخلت على عبداً لرحمن ابن أبي حاتم بالري، فأخبرته بما جرى بنيسابور بين أبي بكر ابن خزيمة وبين أصحابه. فقال: ما لأبي بكر (ابن خزيمة) والكلام (أي في العقائد)؟ إنما الأولى بنا وبه أن لا نتكلم فيما لم نعلمه. فخرجت من عنده حتى دخلت على أبي العباس القلانسي، فقال: كأن بعض القدرية من المتكلمين وقع إلى محمد ابن إسحاق ابن خزيمة، فوقع لكلامه عنده قبول. ثم خرجت إلى بغداد فلم أدع بها فقيهاً ولا متكلماً إلا عرضت عليه تلك المسائل، فما منهم من أحد إلا وهو يتابع أبا العباس القلانسي على مقالته،

ونقل عن عباد الواسطي، وعبد الرحمن بن مهدي، وعاصم بن علي بن عاصم، نحوهما نقله عن حماد، وقد بيناه.

ثم ذكر بعد ذلك ما صح عن انس بن مالك رضاه الله عنه، قال: كانت تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سموات. فنقول: ليس في هذا الحديث أنزيب قالت: إن الله فوق سبع سموات، بل إن تزويج الله إياها كان من فوق سبع سموات.⁷³

ثم نقل عن أبي سليمان الخطابي ما نقله عن عبد العزيز الماجشون وقد بينا موافقتنا له، ومخالفته لذلك.

وحكاه أيضاً عن الخطيب، وأبي بكر الإسماعيلي ويحيى بن عمار وأبي إسماعيل الهروي، وأبي عثمان الصابوني.⁷⁴

وحكم عن أبي نعيم الأصبهاني أن الأحاديث الثابتة في الاستواء يقولون بها، ويشتبونها من غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه.

ويغتم لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة فيما أظهره. قلت (القائل البيهقي): القصة طويلة، وقد رجع محمد بن إسحاق إلى طريقة السلف، وتلهف على ما قال، والله أعلم. انتهى من كتاب السماء والصفات للبيهقي ص 239 ذكر هذه القصة في نهاية باب الفرق بين التلاوة والتملؤ. فالذي يتمسك بزلاته رحمه الله ظالم له بلا شك. ومن الخطأ لومه عليها بعد أن تاب منها.

⁷³ لو قالت إن ربي فوق سبع سموات لكان ابن تيمية له نوع عذر في فهمه، و لكن هي تتكلم عن الأمر بالتزويج، لا عن مكان يحل الله فيه جل جلاله. فالأمر بالتزويج كسائر مسائل الوحي حصل من فوق سبع سموات. لكن لما ترسخ في فهم ابن تيمية حلول الله في تلك الجهة صار يحمل ما يحتمل عدة دلائل على ما يريد من اعتقاد.

⁷⁴ وكلهم على التفويض والسكوت مع الإمرار والإقرار وهو أحد أساليب أهل السنة في الصفات، ولم يكن ابن تيمية كذلك بل قد انتقد التفويض أشد الانتقاد.

وحكاه عن معمر الأصبهاني. وقد بينا لك غير ما مرة أنه مخالف لهذا و أنه ماقال به طرفة عين إلا ونقضه، لأن السماء عنده ليست هي المعروفة، وأن السماء والعرشلا معنى لهما إلا جهة العلو.

وحكى عن عبد القادر الجيلي أنه قال: اللهجة العلو مستو على عرشه.

فليت شعري! لم أحتج بكلامه وترك مثل جعفر الصادق والشبلي والجنيد وذي النون المصري وجعفر بن نصير، وأضربهم رضي الله عنهم؟

وأما ما حكاه عن أبي عمر بن عبد البر فقد علم الخاص والعام مذهب الرجل ومخالفة الناس له، ونكير المالكية عليه أولاً وآخرأ مشهوراً، ومخالفته لإمامالمغرب أبي الوليد الباجي معروفة حتى إن فضلاء المغرب يقولون: لم يكن أحد بالمغرب يرى هذه المقالة غيره وغير ابن أبي زيد، على أن العلماء: منهم من قد اعتذر عن ابنأبي زيد، بما هو موجود في كلام القاضي الأجل أبي محمد عبد الوهاب البغدادي المالكي، رحمه الله⁷⁵.

ثم أنه قال: إن الله في السماء على العرش، من فوق سبعسموات، ولم يعقل ما معنى في السماء على العرش من فوق سبع سموات.

ثم إنابن عبد البر ما تأول هذا الكلام ولا قال كمقالة المدعى إن المراد بالعرش والسماء جهة العلو.

ثم نقل عن البيهقي رحمه الله، ما لا تعلق له بالمسألة، وأعادكلام من سبق ذكره.

ثم ذكر بعد ذلك شيخنا أبا الحسن علي ابن إسماعيلاً لشعري وأنه يقول: الرحمن على العرش استوى، ولا نتقدم بين يدي الله تعالى فيالقول، بل نقول: استوى بلا كيف.

⁷⁵ ومع ذلك فالإمام ابن عبد البر يختلف كلياً عن ابن تيمية في الاعتقاد. كمسألة النزول والصفات ونحو ذلك.

وهذا الذي نقله عن شيخنا هو نخلتنا وعقيدتنا لكن نقله لكلامه ما أراه إلا قصد الإيهام أن الشيخ يقول بالجهة، فإن كان كذلك فلقد بالغ في البهت.

وكلام الشيخ في هذا أنه قال: كان ولا مكان، فخلق العرش والكرسي فلم يحتج إلى مكان، وهو بعد خلق المكان كما كان قبل خلقه.

وكلامه وكلام أصحابه رحمهم الله يصعب حصره في إبطالها. ثم حكى ذلك عن القاضي أبي بكر، وإمام الحرمين.

ثم تمسك برفع الأيدي إلى السماء، وذلك إنما كان لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات، فإن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار، وإذا أُلِف الإنسان حصول الخيرات من جانبها طبعه إليه، فهذا المعنى الذي أوجب رفع الأيدي إلى السماء وقال الله تعالى: "وفي السماء رزقكم وما توعدون." ⁷⁶

ثم إن اكتفى بمثل هذه الدلالة في مطالب أصول العقائد، فما يؤمنه من مدع يقول: الله تعالى في الكعبة، لأن كل مصل يوجه وجهه إليها، ويقول: "وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض".

⁷⁶ من المعلوم أن الأرض كروية والعرش سقف للمخلوقات وليس بفلك حول المخلوقات بل هو في جهة فقط منها، فلا شك قطعاً أن من يرفع يده إلى جهة العرش هو فقط من كان في بقعة من الأرض بجهة العرش أما الجهات الخمس الباقية من الكرة الأرضية فإنها لا تقابل العرش. وهذا واضح جداً لمن كان له أدنى مسكة من عقل. وتأمل! وما من يظن أن العرش فلك يحيط بالمخلوقات ويدعي مع ذلك أن الله فوق العرش فيلزم قطعاً أن العرش مجوف و المخلوقات في جوف العرش وأن الله سبحانه وتعالى مجوف و العالم كله بما فيه العرش في جوف الخالق سبحانه وتعالى. فكيف ما تدبرت الأمر وجدت أن دعوى حلول الله في جهة فوق العرش هو مضلة أفهام ومزلة أقدام.

وليس نفي ذلك إلا كنفي المرض عن الله في حديث ((مرضت فلم تعدني)) لما يلزم من التشبيه والاستنقاص لله سبحانه وتعالى.

أو يقول: الله في الأرض، فإن الله تعالى قال: " كلا لا تطعه واسجد واقترب " والاقتراب بالسجود في المسافة إنما هو في الأرض. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " أقرب ما يكون العبد في سجوده ".

ثم ذكر بعد ذلك ما أجبنا عنه من حديث الأوعال.

وذكر بعد ذلك ما لا تعلق له بالمسألة وأخذ يقول: إنه حكى عن السلف مثل مذهبه وإلى الآن ما حكى مذهبه عن أحد، لا من سلف ولا من خلف غير عبد القادر الجيلي⁷⁷ وفي كلام ابن عبد البر بعضه، وأما العشرة وباقي الصحابة رضي الله عنهم، فما نبسعنهم بحرف. ثم أخذ بعد ذلك في مواعظ و أدعية، لا تعلق لها بهذا.

ثم أخذ في سب أهل الكلام ورجمهم، وما ضر القمر من نبحه.⁷⁸

وقد تبين بما ذكرناه أن هذا الخبر الحجة يرجم فتياه أنه يقول ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ولم ينقل مقالته عن أحد من الصحابة.

⁷⁷ وقد وضع العلماء أن ذلك مدسوس على الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى دسه بعض الجهوية المجسمة لشدة تعلق الناس بأقواله لمنزلته وولايته. وذكر ذلك الإمام ابن حجر في الفتاوى الحديثية. ! بل إن أكثر من دس عليهم الأنبياء عليهم السلام ومنهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حتى ذكر العلماء جملاً غفيراً جداً من الأحاديث والوقائع المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم مما وضعه الوضاعون نصرة لمشاربهم وأهواءهم. فلا يستبعد كذبهم على الإمام عبد القادر وقد كذبوا على من هو أعظم منه ومن هو دونه. بلا لا يوجد بعد الأنبياء أكثر من الكذب على الأولياء كما تراه مدسوساً عليهم في طبقات الشعراني وغيره. ولا شك أنه مصداق حديث النبي صلى الله عليه وسلم ((أشد الناس ابتلاء الأنبياء ثم الصالحين ثم الأمثل فالأمثل)) ولا شك أن الكذب عليهم في العقائد والأحكام بل وفي العرض من أشد الابتلاء. كما تراه من الدنمارك وأشياهم مع النبي صلى الله عليه وسلم، ومن بعض الجفافة من العلمانيين ونحوهم مع أولياء الله تعالى. فلا تعجب. !

⁷⁸ لأن مراد ابن تيمية بأهل الكلام علماء الأمة الإسلامية من الأشاعرة والماتردية الذين هم المالكية والشافعية والحنفية وبعض الحنابلة، وأما أهل الكلام من المعتزلة والحلولية والكرامية فكلامهم المخالف للحق متفق على ذمه.

بيان العقيدة التي يدعو إليها الإمام ابن جهبل وغيره من علماء أهل السنة

وإذ قد أتينا على إفساد كلامه، وإيضاح إيهامه، وإزالة إبهامه، ونقض إبرامه وتنكيس أعلامه، فلنأخذ بعد هذا فيما يتعلق بغرضنا وإيضاح نحلتنا، فنقول وبالله التوفيق: على سامع هذه الآيات والأخبار المتعلقة بالصفات ما قدمناه من الوظائف وهي التقديس والإيمان والتصديق والاعتراف بالعجز والسكوت والإمساك عن التصرف في الألفاظ الواردة وكفالباطن عن التفكير في ذلك، واعتقاده أن ما خفي عنه لم يخف عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا عن الصديق، ولا عن أكابر الصحابة رضي الله عنهم.

ولنأخذ الآن في إبراز اللطائف، من خفيات هذه الوظائف، فأقول وبالله المستعان: أما التقديس فهو أن يعتقد في كل آية أو خبر معنى يليق بجلال الله تعالى، مثال ذلك: إذا سمع قوله: **﴿**إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَّمَاءِ الدُّنْيَا **﴾** "إن الله ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا" وكان النزول يطلق على ما يفتقر إلى جسم عال، وجسم سافل، وجسم منتقل من العالي إلى السافل، والنزول: انتقال جسم من علو إلى سفلى، ويطلق على معنى آخر لا يفتقر إلى انتقال ولا حركة جسم، كما قال تعالى: "وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ" مع أن النعم لم تنزل من السماء، بل هي مخلوقة في الأرحام قطعاً، فالنزول له معنغير حركة الجسم، لا محالة.

وفهم ذلك من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه: دخلت مصر فلم يفهموا كلامي، فنزلت ثم نزلت. ولم يرد حينئذ الانتقال من علو إلى سفلى. فليتحقق السامع أن النزول ليس بالمعنى الأول في حق الله تعالى، فإن الجسم على الله محال.

وإن كان لا يفهم من النزول الانتقال، فيقال له: من عجز عن فهم نزول البعير فهو عن فهم نزول الله عز وجل أعجز. فاعلم أن لهذا معنى يليق بجلاله.

وفي كلام عبد العزيز الماجشون السابق إلى هذا مرامز.

وكذلك لفظة " فوق " الواردة في القرآن والخبر، فليعلم أن " فوق " تارة تكون للجسمية، وتارة للمرتبة، كما سبق، فليعلم أن الجسمية على الله محال. وبعد ذلك: فإن له معنى يليق بجلاله تعالى.⁷⁹

وأما الإيمان والتصديق به، فهو أن يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صادق في وصف الله تعالى بذلك، وما قاله حق لا ريفيه، بالمعنى الذي أراده، والوجه الذي قاله، وإن كان لا يقف على حقيقته، ولا يتخطه الشيطان.

ويقول: كما إذا أخبرني صادق أن حيوانا في دار، فقد أدركت وجوده، وإن لم أعرف عينه، فكذلك هاهنا.⁸⁰

ثم ليعلم أن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم قد قال: " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " وقال سيد الصديقين أبو بكر رضي الله عنه العجز عن درك الإدراك إدراك. وأما الاعتراف بالعجز: فواجب على كل من لا يقف على حقيقة هذه المعاني الإقرار بالعجز، فإن ادعى المعرفة فقد كلف، وكل عارف وإن عرف فما خفي عليه أكثر.

وأما السكوت فواجب على العوام، لأنهم بالسؤال يتعرض لما لا يطيقه، فهو إن سأل عالما لم يمكن العالم إفهامه، كما لا يمكن البالغ تعليم الطفل لذة الجماع، وكذلك تعليمه مصلحة البيت وتديره، بل يفهمهم مصلحته في خروجه إلى المكتب.

فالعامي إذا سأل عن مثل هذا يزجر ويردع، ويقال له: ليس (هذا) بعشك فادرجى. وقد أمر مالك بإخراج من سأل، فقال: مأراك إلا رجل سوء، وعلاه الرخصاء وكذلك فعل عمر رضي

⁷⁹ أي فهي فوقية معنوية بالقدر والرتبة لا فوقية حسية في مكان.

⁸⁰ يعني ان المطلوب هو الإيمان يشبوت ماورد به الخبر، وإن لم يحط بمعناه لأنه لا يمكن إدراكه لعدم رؤية ذلك، ولعدم وجود ما يقاس على مولانا جل جلاله وذلك لاستحالة وجود أي قدر مشترك بين الخالق والمخلوق.

الله عنه بكل من سأل عن الآيات المتشابهة، وقال عليه الصلاة والسلام: " إنما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال. وورد الأمر بالإمساك عن القدر، فكيف (عن) الصفات.

وأما التفسير: فلا يبدل لفظ بأخرى، فإنه قد لا يكون قائماً مقامه، وربما كانت الكلمة تستعار في لغة، وربما كانت مشتركة في لغة دون لغة، وحينئذ يعظم الخطب بترك الاستعارة وباعتقاد أن أحد المعنيين هو المراد بالمشترك.

وأما التأويل: فهو أن يصرف الظاهر، ويتعلق بالمجروح، فإن كان عامياً فقد خاض بجرأ لا ساحل له، وهو غير سابح، وإن كان عالماً لم يجز له ذلك إلا بشرائط التأويل،⁸¹ ولا يدخل مع العامي فيه، لعجز العامي عن فهمه.

وأما كف باطنه: فئلاً يتوغل في شيء يكون كفراً ولا يتمكن من صرفه عن نفسه ولا يمكن غيره ذلك.

وأما اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك فليعلمه، ولا يقس نفسه به ولا بأصحابه ولا بأكابر العلماء، فالقلوب معادن وجواهر.

ثم الكلام بعد هذا في فصلين: أحدهما في تنزيه الله تعالى عن الجهة، فنقول: الأول: أن القوم إن بحثوا بالأخبار والآثار فقد عرفت مافيها، وأنهم ما ظفروا بصحابي ولا تابعي يقول بمقاتلهم، على أن الحق في نفس الأمر أن الرجال تعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال، وقد روى أبو داود في سننه، عن معاذ رضي الله عنه أنه قال: اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً، أو قال: فاجرا، واحذروا زيغة الحكيم، قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: إن علما الحق نورا. ولقد صدق رضي الله عنه.

ولو تطوقت قلادة التقليد لم نأمن أن كافراً يأتينا بمن هو معظم في ملته، فيقول: اعرفوا الحق بهذا.

⁸¹ وشرائط التأويل كثيرة وأهمها 1. أهلية من يقوم بالتأويل. 2. أن يكون هناك ما يوجب التأويل. 3. أن يكون هذا التأويل سائغ في لغة العرب. 4. أن يكون هذا الاستعمال اللغوي لائق بالله تعالى.

وإذ قد علمت أن القوم لا مستروح لهم في النقل فعلم أن الله سبحانه وتعالى لم يخاطب إلا أولى العقول والألباب والبصائر، والقرآن طافح بذلك والعقل هو المعروف بوجود الله تعالى ووحدته ومبرهن رسالة أنبيائه إذ لا سبيل إلى معرفة إثبات ذلك بالنقل و الشرعقد عدل العقل وقبل شهادته، واستدل به في مواضع من كتابه كالاستدلال بالإنشاء عللإعادة وقوله تعالى: (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه) ولقد هدم الله تعالى بهذه الآية مباحث الفلاسفة في إنكار المعاد الجسماني.

واستدل به على التوحيد، فقال الله تعالى: (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) وقال تعالى: " وما كان معه مناله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض "

وقال تعالى: " أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض "

وقال تعالى: " انظروا ماذا في السموات والأرض "

وقال تعالى: " قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا "

وقال تعالى: " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم "

فيا خيبة من رد شاهداً قبله الله، وأسقط دليلاً نصبه الله.⁸²

فهم يلغون مثل هذا ويرجعون إلى أقوال مشايخهم، الذين لم سئل أهم عن دينه لم يكن له قوة على إثباته، وإذا ركض عليه في ميدان التحقيق جاء سكيناً وقال: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

وفي صحيح البخاري في حديث الكسوف ما يعرف به حديث هؤلاء في قبورهم. وبعد ذلك يقول العقل الذبي هو مناط التكليف، وحاسب الله تعالى الناس بهو قبل شهادته ونصبه، وأثبت به أصول دينه، وقد شهد بخبث هذا المذهب وفساد هذه العقيدة، وأنها آلت إلى وصفه تعالى بالنقص، تعالى الله عما يقول الظالمين علواً كبيراً.

⁸² فلولا أن الله أعطى العقل للإنسان وكرمه بذلك وجعله مناط التكليف لكن لا فرق بين المجنون والعقل

ولا بين الذكي والغبي. فمن عزل العقول عن الاستدلال فقد كابر.

وقد نبهت مشايخ الطريق على ما شهد به العقل، ونطق به القرآن بأسلوب فهمته الخاصة، ولم تنفر منه العامة.

وبيان ذلك بوجوه:

البرهان الأول: وهو المقتبس من ذي الحسب الزكي، والنسب العلي، سيد العلماء، ووارث خير الأنبياء، جعفر الصادق رضي الله عنه، قال: لو كان الله في شيء لكان محصوراً. وتقرير هذه الدلالة: أنه لو كان في جهة لكان مشاراً إليه بحسب الحس، وهم يعلمون ذلك، ويجوزون الإشارة الحسية إليه.

وإذا كان في جهة مشار إليه لزم تناهيه، وذلك لأنه إذا كان في هذه الجهة دون غيرها، فقد حصل فيها دون غيرها، ولا معنى لتناهيه إلا ذلك، وكل متناه محدث؛ لأن تخصيصه بهذا المقدار دون سائر المقادير لا بد له من مخصص.⁸³

فقد ظهر بهذا البرهان الذي بيده العقول: أن القول بالجهة يوجب كون الخالق مخلوقاً والرب مربوباً، وأنه ذاتهم تصرفاً فيها، وتقبل الزيادة والنقصان، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

البرهان الثاني:

المستفاد من كلام الشبلي رضي الله عنه، شيخ الطريق وعلم التحقيق، في قوله الرحمن لم يزل، والعرش محدث، والعرش بالرحمن استوى.

وتقريره: أن الجهة التي يختص الله بها على قولهم، تعالى الله عنها وسموها العرش: إما أن تكون معدومة أو موجودة، والقسم الأول محال بالاتفاق.⁸⁴

⁸³ فلا يجوز أن يتصور الإنسان أن الله محدود بحد سواء علمنا هذا الحد أو جهلناه كما لا يجوز أيضاً أن نتصور أنه ممتد ذاهب في الجهات لأن التمدد والتحيز بالحدود كلاهما لا يكون إلا في وصف المجسمات والله منزّه عن ذلك.

⁸⁴ إذ من المحال أن يكون العرش في جهة غير موجودة أي عدمية بل هو موجود في جهة فوق العالم.

وأيضاً فإنها تقبل الإشارة الحسية، والإشارة الحسية إلى العدم محال، فهيموجودة، وإذا كانت موجودة، فإن كانت قديمة مع الله فقد وجد " لنا " قديم غير اللهوغير صفاته، فحينئذ لا يدري أيهما الأول وهذا خبت هذه العقيدة.

وإن كانتحادثة فقد حدث التحيز بالله تعالى، فيلزم أن يكون الله قابلاً لصفات نفسية حادثة، تعالى الله عن ذلك.

البرهان الثالث: المستفاد من لسان الطريقة وعلم الحقيقة وطيب القلوب والدليل على المحبوب، أبي القاسم الجنيد، رضي الله عنه، قال: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير بمن له شبيه ونظير؟ هيهات هيهات! هذا ظن عجيب.

وتقرير هذا البرهان: أنه لو كان في جهة: فإما أن يكون أكبر أو مساوياً أو أصغر، والحصـر ضروري.⁸⁵

فإن كان أكبر، كان القدر المساوي منه للجهة مغايراً للقدر الفاضل منه، فيكون مركباً من الأجزاء والأبعاض، وذلك محال لأن كل مركب فهو مفتقر إلى جزئه وجزؤه غيره، وكل مركب مفتقر إلى الغير، وكل مفتقر إلى الغير لا يكون إلهاً.

وإن كان مساوياً للجهة في المقدار، والجهة منقسمة لإمكان الإشارة الحسية إلى أبعاضها فالمساوي لها في المقدار منقسم.

وإن كان أصغر منها، تعالى الله عن ذلك علو كبيراً، فإن كان مساوياً لجوهر فرد فقد رضوا لأنفسهم بأن إلههم قدر جوهر فرد.

وهذا لا يقوله عاقل، وإن كانمذهبهم لا يقوله عاقل لكن هذا في بادئ الرأي يضحك منه جهلة الزنج.

وإن كانأكبر منه انقسم، فانظروا إلى هذه النحلة وما قد لزمها تعالى الله عنها.

⁸⁵ أي حصر القسمة في واحد من الأقسام الثلاثة قطعي ضرورة. فهو إما أكبر أو أصغر أو مساوي.

البرهان الرابع:

المستفاد من جعفر ابن نصير، رحمه الله، وهو إنحسئل عن قوله تعالى: (الرحمن على العرش استوى) فقال: استوى علمه بكل شيء، فليس شيء أقرب إليه من شيء.

وتقرير هذا البرهان: أن نسبة الجهات إليه علالتسوية، فيمتنع أن يكون في الجهة. وبيان أن نسبتها إليه على التسوية: إنقهد ثبت أن الجهة أمر وجودي، فهي إن كانت قديمة مع الله لزم وجود قديمين بذاتيهما، لأنهما إن لم يتميزا بذاتيهما فالجهة هي الله تعالى، والله هو الجهة، تعالى الله عن ذلك.

وإن لم تكن قديمة، فاختصاصه بها إما أن يكون لأنه ذاته اقتضت ذلك، فيلزم كون الذات فاعلة في الصفات النفسية، أو غير ذاتية، فنسبة الجهات إلى ذاتها على التسوية فمرجح جهة على جهة أمر خارج عن ذاته، فلزم افتقاره في اختصاصه بالجهة إلى غيره، وهو على الله تعالى محال. ثم اعلم، أن هذه البراهين التي سردناها وتلقيناها من مشايخ الطريق فإنما استنبطوها من الكتاب العزيز، ولكن ليس كل ما في الكتاب العزيز يعرفه كل أحد، فكل يغترف بقدر إنائه وما نقصت قطرة من مائه.

ولقد كان السلف يستنبطون ما يقع من الحروب والغلبة، من الكتاب العزيز ولقد استنبط ابن برجان رحمه الله من الكتاب العزيز، فتح القدس على يد صلاح الدين في سنته، واستنبط بعض المتأخرين من سورة الروم، إشارة إلى حدوث ما كان بعد (سنة) ثلاث وسبعين وستمائة، ولقد استنبط كعب الأحبار رضي الله عنه من التوراة أن عبد الله ابنقلاية يدخل إرم ذات العماد، ولا يدخلها غيره وكان يستنبط منها ما يجري من الصحابة رضي الله عنهم وما يلاقيه أجناد الشام، وذلك مشهور.

والله تعالى أنزل في كتابه ما يفهم أحد الخلق منه الكثير، ولا يفهم الآخر من ذلك شيئاً، ولقد تختلف المراتب في استنباط الأحكام من كلام الفقهاء والمعاني من قصائد الشعراء. فأما ما ورد في الكتاب العزيز مما ينفي الجهة، فتعرفه الخاصة، ولا تشمئز منه العامة، فمن ذلك

قوله تعالى: " ليس كمثله شيء " ولو حصرت هـ لكان مثلاً للمحصور في ذلك البعض. وكذلك قوله تعالى: " هل تعلم له سمياً " قال ابن عباس رضي الله عنه: هل تعلم له مثلاً؟ ويفهم ذلك من (القيوم) وبناء المبالغة في أنه قائم بنفسه وماسواه قائم به فلو قام بالجهة لقام به غـ

ويفهم من قوله تعالى: (المصور) لأنه لو كان في جهة لتصور فيما أن يصور نفسه أو يصوره غيره وكلاهما محال.

ويفهم من قوله تعالى: " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " ولو كان على العرش حقيقة، لكان محمولاً.

ويفهم من قوله تعالى: " كل شيء هالك إلا وجهه " والعرش شيء يهلك، فلو كان سبحانه وتعالى لا في جهة ثم صار في جهة (ثم صار لا في جهة) لوجد التغير، وهو على الله محال. والمدعى لما علم أن القرآن طاف بهذه الأشياء وبهذه الإشارات، قال: هذه الأشياء دلالتها كالألغاز.

أو ما علم المغرور أن أسرار العقائد التي لا تحملها عقول العوام لا تأتي إلا كذلك، وأنفي القرآن ما ينفي الجسمية إلا على سبيل الألغاز؟ وهل تفتخر الأذهان إلا في استنباط الخفيات، كاستنباط الشافعي رضي الله عنه الإجماع من قوله تعالى: " ويتبع غير سبيل المؤمنين " وكاستنباط القياس من قوله تعالى: " فاعتبروا يا أي الأَبصار " وكما استنبط الشافعي خيار المجلس من نهي عليه الصلاة والسلام عن البيع على بيع أخيه.

وزبدة المسألة أن العقائد لم يكلف النبي صلى الله عليه وسلم الجمهور منها إلا بلا إله إلا الله محمد رسول الله، كما أجاب مالك الشافعي رضي الله عنهما، ووكل الباقي إلى الله وما سمع منه ولا عن أصحابه فيها شيء إلا كلمات معدودات، فهذا الذي يخفي مثله، ويلغز في إفادته.

الفصل الثاني:

فيا بطل ما موه به المدعى، من أن القرآن والخبر اشتملا على ما يوههم ظاهره ما يتنزه الله تعالى عنه، على قول المتكلمين، فنقول:

قال الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ) الآية. دلت هذه على أن من القرآن محكما ومنه متشابه، والمتشابه قد أمر العبد برد تأويله إلى الله، وإلى الراسخين في العلم، فنقول بعد ذلك: إنما لم تأت النبوة بالنص ظاهرا على المتشابه، لأن جل مقصود النبوة هداية عموم الناس، فلما كان الأكثر محكما، وألجمت العامة عن الخوض في المتشابه، حصل المقصود، لولا أن يقيض الله تعالى لهم شيطانا يستهويهم ويهلكهم، ولو أظهر المتشابه لضعفت عقولا لعالم عن إدراكه.

ثم من فوائد المتشابه رفعة مراتب العلماء بعضهم على بعض، كما قال تعالى: (فوق كل ذي علم عليم) وتحصيل زيادة الأجور بالسعي في تفهمها وتفهمها، وتعلمها وتعليمها. وأيضاً لو كان واضحاً جلياً مفهوماً بذاته، لما تعلم الناس سائر العلوم، بل هجرت بالكلية، ووضح الكتاب بذاته، ولما احتيج إلى علم من العلوم المعينة على فهم كلامه تعالى، ثم خوطب في المتشابه بما هو عظيم بالنسبة إليهم، وإن كان الأمر أعظم منه، كما نبه عليه عبد العزيز الماجشون في القبضة، وكما قال تعالى في نعيم أهل الجنة: (في سدر مخضود. وطلح منضود. وظلم مدود وماء مسكوب) الآية. فهذا عظيم عندهم، وإن كان في الجنة ما هو أعظم منه، كما قال صلى الله عليه وسلم، حكاية عن الله عز وجل: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر).

نسأل الله العظيم أن يجعل فيها قرارنا، وأن ينور بصيرتنا وأبصارنا، وأن يجعل ذلك لوجهه الكريم، بمنه وكرمه.

ونحن ننتظر ما يرد من تمويهه وفساده، لنبين مدارج زيغه وعناده، ونجاهد في الله حق جهاده، والحمد لله رب العالمين.

انتهت الرسالة. والحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على نبيه الهادي الأمين سيدنا محمد وعلى آله والصحاب أجمعين.